

المسحاة

مجلة

المجلد السابع عشر
الجزء السابع



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد السابع عشر)

٤٨١

(الجزء السابع)

أوفى خبرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يدر الخسمة فقد

المعجزة
١٣١٥

أولئك الذين هدام الله أولادهم أولوا الألباب
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

مصر سلخ رجب ١٣٣٢ هـ ٦ الصيف الاول ١٢٩٢ هـ ٢٣ يونيو ١٩١٤

فَتَاوَى الْمَشَانِ

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسم طامة الناس، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالباور عما قدمنا متاخر السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه ورعا اجينا غير مشترك لمثل هذا ، ولان مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لافضاله

(السكروته والحرير)

(س ١٠) من صاحب الامضاء الرمزى بدمياط

صاحب الفضيلة حضرة الاستاذ المرشد والامام المصلح السيد محمد رشيد رضا

سدد الله ووفقه

ما قولكم يا فضيلة الاستاذ في هذه الثياب المعروفة بمصر التي تسمى بالسكروته وما حكم لبسها مع اختلاف الناس فيها هي حرير أم من نبات ؟ فبعضهم يقول انها من حرير الدودة المحرم . وبعضهم يقول انها ألياف نباتية تنبت بارض الهند كالليل والكتان . واختلف الناس في شأنها كثيرا ، وقد اصبح الناس يلبسونها كثيرا وخصوصا علماء الدين فلا تجد واحدا منهم الا وهو يقتني منها ثوبا او ثوبا، بل ربما يديم لبسها طول الصيف ويقتني الناس بحلها . بناءً على انها نباتية، ويقول ذلك ويقرره بجراءة غريبة ، وقد وقع الناس الآن في شأنها كثيرا في بلدة دمياط، واهتموا بهذا الموضوع اهتماما ذا بال، فترجو فضيلتكم اجابتنا بما ترونه في ذلك منطبقا على دين الله ، وما تعلمونه عن حقيقة مادة السكروته هذه، مع ذكر مسألة الحرير وتحريمه في الدين وحكمة التحريم، ورأيكم الخاص في ذلك . فان الخلاف فيه قديم بين الجمهور وقليل من السلف والخلف واقبلوا مزيد الاحترام (م . ل)

(ج) من اعتقد من الرجال ان النسيج المسمى بالسكروته حرير حرم عليه لبسه، ومن لم يعتقد ذلك لم يحرم عليه . والمتبادر من التسمية ان السكروته غير الحرير . وقد سألت تاجرا مسلما سوريا يتجر بهذا الصنف في (شنغاي) من هواني الصين فقال ان الذي يعلمه هو ان السكروته من نسيج دود غير دود الحرير ، اي فلهذا وضع لها

٥٠٠ تكرار الفدية بتأخير قضاء الصيام (المنار- ج ٧ م ١٧)

اسم غير اسم الحرير . وتفارق الحرير في اخص صفاته وهي النعومة . ولا يمكن ان يقال ان جميع ما تنسجه الحشرات حرير ، فقد كان نسج العنكبوت معروفا عند العرب ولم يسمه احد حريرا . وبلغنا أن الإفرنج يتخذون منه قفافيز وغيرها .
والحكمة في تحريم السنة لبس الحرير الخالص على الرجال هي كونه مبالغة في الثرف والنعيم المضعفين للرجولية ، والمفسدين لبأس الأمة . وكان ولا يزال عند أكثر الأمم من خصائص النساء . ومثل هذه العلة ورد النهي في السنة عن لبس المعصفر والمزعفر اذ كانت من زينة النساء خاصة . فما نعلم من حكمة تحريم الحرير لا يوجد في السكروته . نعم ان الرقيق من السكروته اذا كوي بالمكواة يكون له لمعان كالحرير ، ولكن من نسيج القطن والسكتان مثل ذلك . فالظاهر لنا ان لبس السكروته غير محرم . والله اعلم واحكم

تكرار الفدية بتأخير قضاء الصيام

(س ١٦) من نوح ابن الحاج عبد القادر القاهري السندي
ما قولكم ايها العلماء الاعلام وائمة الاسلام في قول المنهاج في كتاب الصيام: «والأصح تكرره بتكرر السنين» ما المراد بتكرر السنين؟ هل هو تأخير قضاء رمضان او أكثر الى رمضان آخر؟ أم تأخير قضاء رمضان الواحد الى رمضان فصاعدا؟ فان قلتم بالثاني فما المراد بقول الشرقاوي في حاشيته على شرح التحرير: قوله «الى رمضان آخر» بالتوين مصروفا لانه نكرة اذ المراد به غير معين، بدليل وصفه بالنكرة وهي «آخر» وزالت منه احدى العلتين وهي العلمية . وبقاء الألف والنون الزائدتين لا يقتضي منعه من الصرف اه وما المراد بقول السيد الفاضل المصطفى الذهبي في تقريبهما على على هامش تلك الحاشية : قوله رمضان آخر هو مصروف لانه غير معين ، انظر ما الفرق بينه والاول ؟ وغاية ما يقال الاول مقصود منه الشهر الذي يستقبله المدرك بعينه بخلاف الثاني فانه يتناول ما بعده لا الى نهاية ، فتكرر الكفارة بكل رمضان يأتي بعد الاول فهل يكفي هذا في منع الصرف حرره اه وما المراد بقول السيد علوي ابن السيد احمد سقاف في حاشيته على فتح المعين : قوله «لكل سنة»

(المنار - ج ٧ م ١٧) التقليد والمذاهب ووحدة المسلمين ٥٠١

اي لصوم كل يوم من رمضان كالسنة ، وبه قال مالك واحمد اه وقد قال العلامة
الدسوقي المالكي في حاشيته على شرح المختصر ما نصه : فاذا كان عليه يومان من
رمضان ومضى عليه ثلاث رمضانات او اكثر فانه انما يلزمه مدان . افيدونا بالمسطور
جزاكم الخير رب غفور .

(ج) مراد المنهاج : « والأصح تكرره بتكرر السنين » أن من أخر قضاء ما فاتته
من رمضان واحد الى رمضان فأكثر يطعم عن الرمضانيين مسكينين لكل مسكين
مد - وعن ثلاث رمضانات ثلاث مساكين وهلم جرا ، ولا يمكن ان يكون معناه
من أخر قضاء يومين فأكثر من رمضان فأكثر الى رمضان آخر لزمه عن كل
يوم مد . لأن هذا لغو من القول للاستغناء عنه بما قبله وهو قوله « ومن أخر قضاء
رمضان مع امكانه حتى دخل رمضان آخر لزمه مع القضاء لكل يوم مد » ولأنه
لا خلاف فيه حينئذ فلا يكون لوصفه بالأصح معنى ، اذ مقابل الأصح - وهو
الصحيح - انه لا يتكرر . فهل يمكن ان يكون المراد بعدم التكرار على الصحيح
ان من أخر قضاء يومين من رمضان الى رمضان آخر لا تجب عليه فديتان ؟
لا لا . واذا تبين الحق فمن إضاعة الوقت البحث في كلام من لم يعرفه والاهتمام
بفهم المراد منه . على ان بحث الشرقاوي والذهبي في العلة النحوية لصرف رمضان
لا ينافي هذا ، ولا حاجة الى العناية والبحث فيما جاء به السقاف ، ولا الرجوع الى
عبارة الدسوقي المالكي فانه ليس تفسيراً لعبارة المنهاج ولا يتفق مع مذهب الشافعي .
فاللعنى واضح والمذهب معروف .

(التقليد والمذاهب وجمع المسلمين على الكتاب والسنة)

(س ١٧) من صاحب الامضاء المصري في (السودان)

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ منار الدين الحق السيد محمد رشيد رضا ادامہ الله حاميا لدينه .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سيدي ارفع سؤالي هذا ولي عظيم الأمل في اني سأحصل على الجواب الشافي
الذي يريح ضميري واغلب المسلمين . نرى اختلافا كثيرا بين الأئمة المجتهدين

٥٠٢ التقليد والمذاهب ووحدة الأمة (المنار - ج ٧ م ١٧)

رضوان الله عليهم في مسائل عديدة ، الا انا نعتقد فيهم مثابون ومصيدون في ذلك ، لما نعلم من اعذارهم في مثل هذا ، كبلوغ احدهم الدليل وعدم بلوغه للآخر ، او بلوغه وعدم صحته . فهم مثابون ومصيدون من حيث تحريمهم الحق ، لا من حيث اصابتهم لحقيقة الحكم ، اذ يستحيل ان يكونوا كلهم مصيبين مع هذا الاختلاف ، والا فيكون هذا حكما صريحا على ان في الشرع تناقضا وحاشاه من ذلك . اذا علمنا ان هذا هو سبب اختلافهم واقوالهم بين ايدينا فلماذا نختلف نحن ايضا ويتبع كل فريق منا مذهباً ؟ وهل يتعين على المسلمين في هذه الحالة ان يستخلصوا الأدلة الصحيحة الثابتة ويتركوا ما عداها وقد علموا عذر الأئمة في ذلك ؟ والا فان المقلد لا يسلم من ان يكون متبعاً امامه فيما أخطأ فيه او على الأقل فيما كان مذموا او مرجوحاً . وهل يصح ان يلتبس له عذرا من قلده مع خلوه عنه ؟ وهل الخطاب بالكتاب والسنة عام لكل اناس أو مختص بالأئمة الاربعة فقط ؟ واذا كان الخطاب عاما فما عذر من عدل عنهما الى سواهما ؟ وان قيل ان الاستدلال بالكتاب والسنة لا يتأتى الا للعلماء وهم الأقلون ، فهل يتحتم على هؤلاء العلماء ارشاد العامة الى السبيل القيم مينة لهم الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله تاركيين هذه الاختلافات القديمة التي لا تخلو من ضرر وقد اصبح ذلك يسورا ؟ . رجائي الاجابة على هذه على صفحات مناركم الأغمر ، مبينين السبيل الحق في ذلك ، أثابكم الله وادامكم نوارا يستضاء به ، تفضلوا بقبول احتراماتي

محسوبكم سليمان حلمي

(ج) قد سبق للمنازل بيان هذه المسائل كلها مرارا ، وأول ما كتبناه فيها (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع . ثم جمعت في كتاب على حديثها . ثم وقفنا على مناظرة في بحث الاجتهاد والتقليد للمحقق ابن القيم نشرناها في المجلدين السادس والسابع . وتكرر ذلك في التفسير والفتاوى ، وما ورد في باب الفتوى اجوبة المسائل الباريية التي سئل عنها أحمد باشا زكي في باريس فارسلها اليها . وقد طبعت في ذيل كتاب محاورات المصلح والمقلد . فاذا لم يتيسر للسائل مراجعة هذه المسائل في مواضعها المتفرقة من مجلدات المنار فليكتف بقراءة كتاب محاورات المصلح والمقلد وذيله ، ثم اذا بقي عنده او تجدد لديه بعض

الأسئلة في ذلك فليسأل عنها . ونزيده هنا فائدة ينبغي ان يفكر فيها بعد ان يقرأ في اواخر ذلك الكتاب ما قرره المصالح في مسألة وحدة الأمة . وهي ان هذه الوحدة الدينية قد توجهت اليها نفوس عقلاء المسلمين من جميع المذاهب في جميع الاقطار . وانه لا يرجى حصولها في وقت قريب الا اذا ايد الاصلاح الديني دولة او ايمارة اسلامية . على ان الأمة لا بد ان تنبذ كل خلاف ، وتصير الى الوحدة ولو بعد جيل او اجيال .

﴿ الخلاعة في التمثيل ﴾

(س ١٨) من صاحب الامضاء في بيروت

سلام على امامنا السيد الرشيد ايده الله

وبعد فلا يخفي ان مولانا السيد كان اقنى في المنار من استفهائه من دمشق في امر التمثيل الروائي بانه جائز اذا لم يكن فيه خلاعة . ونظر الاستاذ ذلك الجواز بكتب الأدب واللغة التي هي روايات خيالية ، وعلمية لا عملية كالتلزمات . ولما كان الداعي مختلفا هو وبعض العلماء في تلك الخلاعة اتفقنا على ان استفتي سيادة الاستاذ في بيان وجهها . فسر الداعي تلك الخلاعة بما يتخاها الفساق ويحصل في المراقص لافي الروايات التي يمثل فيها النساء مع الرجال ، وهي روايات ادب وعلم وصدق وعدل . وفسر ذلك البعض الخلاعة بحال تلك النساء الممثلات . فانهن يكن كاشفات الرأس والوجه واليدين حتى مافوق المرفقين واعلى الصدر . مع المعانقة الجزئية بين العاشق والمعشوقة وتقبيل جبهتها حسب ما يقتضي التمثيل . ويكن ايضا لابسات الفخر الثياب مع زينة الحلي . فذكرت لهذا المفسران هذه الحال لا تكون الا للمجرد التمثيل كي تظهر نتيجتها من حيث التوفيق بين العاشقين او الحكم عليهما حسب مقتضى امرها كما هو من فوائد التمثيل التي تحدث عظة او خلقا في نفس الراي .

ثم اتني ذكرت لذلك العالم انه يسوغ أن يقاس ما فسرت انا على الحديث الصحيح الذي فيه ان عائشة رضي الله عنها كانت تنظر مع النبي صلى الله عليه وسلم الى الرجال وهم يلعبون . فلما اورد هذا الحديث على الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو يحرم نظر الاجنبية الى الاجنبي ، اجاب ان نظرها انما هو اللعب نفسه ولم يكن مقصودا به النظر المجرد الى الرجال . فقال لي ذلك العالم ان ذلك كان في

زمن غير زمننا المعروفة احواله . فاجبته بان تخيل الفسق يكون أمه على من يتخيله .
فهذا خلافا رفته الى مولاي الاجل كي يحكم بيننا بالحق . فللرجو الجواب في الجزء
الآتي من المنازع الله به الاسلام وناصريه والحمد لله أولا وآخرا .

بيروت : الأربعاء ٢٤ رجب سنة ١٣٣٢ الداعي : راغب القباني

(ج) ان الخلاعة التي ينبغي ان تكون مانعة من رؤية تمثيل القصص هي
ما كان ذريعة للفسق وفساد الأخلاق . فانه ليس لأحد ان يحرم شيئا غير ما حرم
الله ورسوله بالنص او اقتضاء النص وهو سد الذرائع . فمن يخاف ان يغريه هذا
التمثيل في بعض القصص بفعل محرم وجب عليه اجتنابه . ومن لا يخاف على نفسه
ذلك تباح له رؤيته . واذا غلب فيه كونه ذريعة لمحرم يصح اطلاق القول بتحريمه .
ولم يثبت هذا . بل المعروف ان من يحضرون هذا العمل يكون جل همهم مراقبة
الاعمال كروية عائشة للعب الحبش ، وان يعرفوا الوقائع وعاقبتها وما لها . وقلم سمعنا
أن احدا منهم يحفل بغير ذلك . فان وجد من افتتن في بعض البلاد بامرأة ممثلة فلا
يصح ان يجعل نفس التمثيل ذريعة لذلك على الاطلاق . اذ ثبت في كل زمن ان
بعض الناس يفتنون ببعض الحسان في الطرق او المعابد . اما النساء التي يمثلن في بعض
القصص مكشوفات الرؤوس والسواعد فلسن — كما يعهد في هذه الاقطار — بمسلمات
ولا يكلفن من فروع الشريعة ما تكلفه المسلمات . وقد جرى عرف أهل ملتهن
على اسقاط حرمة الستر فلا يعدونه فضيلة بل نقصا . وهن يمشين في الأسواق والشوارع
حاسرات كما يكن في معاهد التمثيل . ولا فرق بين رؤيتهن في الأسواق ورؤيتهن
في تلك المعاهد ولا بين الاختلاف الى الأسواق وهن فيها والاختلاف الى تلك المعاهد
وهن فيها . والعبرة في ضرر ما يمثل من حيث الخلاعة والتهتك وغيره بموضوع القصة .
فاذا كان موضوعها اعمالا منكورة بحيث يكون تأثيرها سيئا ضارا ، فلا وجه للتردد
في حظر ما كان كذلك ومنعه ان امكن والا فلا امتناع من رؤيته . واما ما كان
موضوعه حسنا مرغبا في الفضيلة ، منفرا عن الرذيلة ، اومينا لعواقب ظلم الحكام ،
واستبدادهم في الاحكام . ومرشدا للأمة الى ازالة الظلم ، وأطر الظالمين على الحق ،
ومجرثا لها على مقاومة العدوان والبغي — فهو الذي يعده الحكماء من صريبات
الأم ، ومهذبات الاخلاق ، وينظّمونه في سلك اساليب التربية العملية

(المنار - ج ٧ م ١٧) مثال للارتفاع بالاخلاق والفرائض دون نزعها ٥٠٥

نموذج آخر من مدارج السالكين

من بحث تغير الاخلاق وعدمه في ضرب مثل للارتفاع بكل خلق وكل غريزة وعدم محاولة تغييرها

فصل

نافع جدا عظيم النفع للسالك بوصله عن قريب ، ويسير باخلاقه التي لا يمكنه ازالها ، فان اصعب ما على الطبيعة الانسانية تغير الاخلاق التي طبعت عليها ، وأصحاب الرياضات الصعبة والمجاهدات الشاقة انما عملوا عليها ولم يظفر اكثرهم بتبديلها ، لكن النفس اشتغلت بتلك الرياضات عن ظهور سلطانها ، فاذا جاء سلطان تلك الاخلاق وبرز كسر جيوش الرياضة وشتها واستولى على مملكة الطبع . وهذا فصل يصل به السالك مع تلك الاخلاق ولا يحتاج الى علاجها وازالتها ، ويكون سيره أقوى وأجل واسرع من سير العامل على ازالها .

ونقدم قبل هذا مثلا نضربه مطابقا لما نريده وهو : نهر جار في صبيه ومنحدره ، ومتمته الى تغريق ارض وعمران ودور ، وأصحابها يعلمون انه لا ينتهي حتى يخرب دورهم ويتلف أراضيهم واموالهم ، فانقسموا ثلاث فرق : فرقة صرفت قواها وقوى أعمالها الى سكره وحبسه وايقافه فلم تصنع هذه الفرقة كبير أمر ، فانه يوشك ان يجتمع ثم يحمل على السكر فيكون إفساده وتخريبه أعظم . وفرقة رأت هذه الحالة وعلمت انه لا يغني عنها شيئا فقالت : لا خلاص من محذوره الا بقطعه من أصل ينبوع ، فرامت قطعه من أصله فتعذر عليها ذلك غاية التعذر ، وأبت الطبيعة النهرية ذلك اشد الالباء ، فهم دائماً في قطع ينبوع ، وكلما سدوه من موضع نبع من موضع ، فاشتغل هؤلاء بشأن هذا النهر عن الزراعات والعمارات وغرس الاشجار . فجاءت فرقة ثالثة خالفت رأي الفرقتين وعلموا أنهم قد ضاعت عليهم كثير من مصالحهم فاخذوا في صرف ذلك النهر عن مجراه المنتهي الى خراب العمران ، وصرفوه الى موضع ينتفعون بوصوله اليه ولا يتضررون به ، فصرفوه الى ارض قابلة النبات وسقوها به ، فانبتت انواع العشب والكلام والثمار المختلفة الاصناف ، فكانت هذه الفرقة هم أصوب الفرق في شأن هذا النهر :

٥٠٦ مثال للانتفاع بالاخلاق والغرائز دون نزعها (المنار-ج ٧ م ١٧)

فاذا تبين هذا المثل فالله سبحانه اقتضت حكمته ان ركب الانسان بل سائر الحيوان على طبيعة محمولة على قوتين غضبية وشهوانية وهي الارادية ، وهاتان القوتان هما الحاملتان لاخلق النفس وصفاتها ، وهما مركوزتان في جملة كل حيوان ، فبقوة الشهوة والارادة يجذب المنافع الى نفسه ، وبقوة الغضب يدفع المضار عنها ، فاذا استعمل الشهوة في طلب ما يحتاج اليه تولد منها الحرص ، واذا استعمل الغضب في دفع المضرة عن نفسه تولد منه القوة والعزة ، فاذا عجز عن ذلك الضار أورثه قوة الحقد ، وان اعجزه وضول ما يحتاج اليه ورأى غيره مستبدا به أورثه الحسد . فان ظفر به أورثته شدة شهوته وارادته خلق البخل والشح ، وان اشتد حرصه وشهوته على الشيء ولم يمكنه تحصيله الا بالقوة الغضبية فاستعملها فيه اورثه ذلك العدوان والبغي والظلم ، ومنه يتولد السكبر والفخر والخيلاء ، فانها اخلاق متولدة من بين قوتي الشهوة والغضب ، وتزوج احدهما بصاحبه .

فاذا تبين هذا فالنهر مثال هاتين القوتين ، وهو منصب في جدول الطبيعة وجراها الى دور القلب وعمرانه وحواصله بذهابها ويتلفها ولا بد ، فالنفوس الجاهلة الظالمة تركته ومجراه فخر ديار الايمان وقلع آثاره وهدم عمرانه ، وانبت موضعها كل شجرة خبيثة من حنظل وضريع وشوك وزقوم ، وهو الذي يأكله أهل النار يوم القيامة يوم المعاد ، واما النفوس الزكية الفاضلة فانها رأت ما يؤول اليه امر هذا النهر فافترقوا ثلاث فرق ، فاحباب الرياضات والمجاهدات والخلوات والتمرنات راموا قطعه من ينبوعه فابت ذلك حكمة الله تعالى وما طبع عليه الجملة البشرية، ولم تنقد لهم الطبيعة ، فاشتد القتال ودام الحرب وحمى الوطيس وصارت الحرب دولا وسجالا ، وهؤلاء صرفوا قواهم الى مجاهدة النفس على ازالة تلك الصفات .

وفرقة عرضوا عنها وشغلوا نفوسهم بالاعمال ولم يحجبوا دواعي تلك الصفات مع تخليتهم اياها على مجراها ، لكن لم يكتفوا بنهرها من إفساد عمرانهم بل اشتغلوا بتحسين العمران واحكام بنائه واساسه ، ورأوا ان ذلك النهر لا بد ان يصل اليه فاذا وصل الى بناء محكم لم يهدمه بل يأخذ عنه يمينا وشمالا ، فهؤلاء صرفوا قوة عزيمتهم وارادتهم في العمارة واحكام البناء ، وأولئك صرفوها في قطع المادة الفاسدة من اصلها خوفا من هدم البناء . وسألت يوما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المسألة وقطع الآفات والاشتغال بتنقية الطريق وتنظيفها ، فقال لي جملة كلامه : النفس مثل الباطوس (وهو جيب القدر) كما نبشته ظهر وخرج

(المنار-ج ٧ م ١٧) مثال للانتفاع بالأخلاق والفرائض دون نزعها ٥٠٧

ولكن ان أمكنك ان تسقف عليه وتعبره وتجوّزه فافعل ، ولا تشتغل بنبشه فانك لن تصل الى قراره ، وكلما نبشت شيئاً ظهر غيره ، فقلت : سألت عن هذه المسألة بعض الشيوخ فقال لي : مثال آفات النفس مثال الحيات والعقارب التي في طريق المسافر فان اقبل على تفتيش الطريق عنها والاشتغال بقتلها انقطع ولم يمكنه السفر قط . ولكن لتكن همتك المسير والاعراض عنها وعدم الالتفات اليها . فاذا عرض لك فيها ما يعوقك عن المسير فاقتله ثم امض على سيرك . فاستحسن شيخ الاسلام ذلك جدا ، واثني على قائله .

اذا تبين هذا فهذه الفرقة الثالثة رأيت ان هذه الصفات ما خلقت سدى ولا عبثا ، وانها بمنزلة ماء يسقى به الورد والشوك والثمار والخطب ، وانها صوان واصداف لجواهر منطوية عليها دواما فما خاف منه أولئك هو نفس سبب الفلاح والظفر ، فأروا أن الكبر نهر يسقى به العلو والفخر والبطر والظلم والعدوان ، ويسقى به علو الهمة والانفة والحمية والمرامة لاعداء الله وقهرهم والعلو عليهم ، وهذه درة في صدفته ، فصرفوا مجراه الى هذا الفراس واستخرجوا هذه الدرة من صدفته وبقوه على حاله في نفوسهم ، لكن استعملود حيث يكون استعماله انفع ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ابا دجاجة يتبختر بين الصفيين فقال « انها لمشية يبعثها الله الا في مثل هذا الموضع » فانظر كيف خلى مجرى هذه الصفة وهذا الخلق يجري في احسن مواضعه ، وفي الحديث الآخر واظنه في المسند « ان من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبعثها الله ، فالخيلاء التي يحبها الله اختيال الرجل في الحرب وعند الصدقة » فانظر كيف صارت الصفة المذمومة عبودية ، وكيف استحال القاطع موصلا . فصاحب الرياضات والعامل بطريق الرياضات والمجاهدات والخلوات ، هيئات هيئات ، انما يوقع ذلك في الآفات والشبهات والضلالات ، فان تزكية النفوس مسلم الى الرسل ، وانما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم اياها ، وجعلها على ايديهم دعوة وتعلما وبيانا وارشادا ، لا خلقا ولا إلهاما ، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الامم ، قال الله تعالى (هو الذي بعث في الامم رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم - الى قوله - لفي ضلال مبين) وقال تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليهم آياتنا ويزكيهم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذا كروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وتزكية النفوس أصعب من علاج الابدان واشد ، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجئ بها الرسل ، فهو كالمرضى الذي يعالج نفسه برأيه ، وأين رأيه من معرفة الطبيب ؟ فالرسل اطباء القلوب فلا سبيل الى تزكيتها وصلاحتها الا من طريقهم وعلى ايديهم ، وبمحض الاقياد والتسليم لهم ، والله المستعان .

الدين والتدين . والإلحاد والتعطيل

التدين غريزة فطرية ، والدين حاجة من حاجات البشر الطبيعية ، والإلحاد والتعطيل إما تنقص في الفطرة . كما يولد بعض الناس مخدوجا بنقص حاسة من حواسه ، أو تشوه عضو من أعضائه ، وأما تصرف سيئ في الفطرة ، وجناية على الطبيعة . وقد خلق الله الإنسان في هذه الأرض واعطاه فيها سلطان التصرف فيها وفي نفسه . واسجد له من فيها من ملائكته ، الذين هم كالمملكات والقوى في تدير الأمر ، واقامة النظام في الخلق ، فهو بهذا التصرف فيها يفيد فيها ويسفك الدماء ، كما يصلح ويعمر وينفع الناس : يجني على نفسه فيحملها فوق طاقتها ، ويعرضها للأمراض التي لا قبل له بها ، ويجني على غيره بالعدوان والبغي ، واهلاك الحرث والنسل . فلا غرو اذا جنى على الدين ، بشبهة دليل او بغير دليل .

كان السواد الأعظم من الناس متدينا ، ولا يزال السواد الأعظم من الناس متدينا ، وسيبقى السواد الأعظم من الناس متدينا . ولكنهم يتصرفون في اديانهم ، كما يتصرفون في انفسهم وابدانهم ، وسيظلون زمنا طويلا في اضطراب ومخض ، بين رفع وخفض ، وابرار وتقض ، حتى تزول العصبية الدينية ، وتسقط الرياسات المذهبية ، ويكون الدين لله ، لا للخلفاء والاشياخ ، ولا للرهبان والأجبار ، ويكون للإنسان الحرية فيه والاستقلال ، فيتفق أكثر المختلفين ، ويجمع أكثر المتفرقين ، فتنتشع السحب عن دين الفطرة ، ويدخلون في السلم كافة

كان الناس متدينين ، وكان يكون في كل جيل منهم في كل عصر اناس من المعطلين ، وافراد من الملحدين ، كما يوجد فيهم العمي الذين لا يبصرون . والصم الذين لا يسمعون ، والبكم الذين لا ينطقون . (٤٥ : ٣٣ وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ، نموت ونمحي ، وما يهلكنا الا الدهر . وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) هذه حكاية القرآن عن بعض جاهلية العرب . وحكى مثله عن قوم نوح أقدم من أثر تاريخهم من الأمم . ولكن بعض ملاحدة عصرنا يظنون لجهلهم بالتاريخ ان هذا الشذوذ خاص بالفلاسفة ، واصحاب الافكار الراقية ، ولهذا الامتياز الوهي

صار بعض الضغاء يكفر بالتقليد ، لينتظم في سلك الفلاسفة الجديد . ويتفلسف من قيد التكليف

نعم يوجد من اهل النظر من حجبه نظريات الفلسفة ، ومسائلها وتعليقاتها المسألة ، عن الدين وجوهره ، وما كان من حسن أمره ؛ فطفقوا يتذفون بتلك النظريات والمسلّمات ، ظواهر الدين وتقاليده المحدثات ، وخيل اليهم انهم فازوا بقصب الرهان ، وأبرهوا جيوش الأوهام بسيف البرهان. وما ذلك الا وهم يناطح وهما ، هذا يسميه هدى وذلك يدعوه علما ، ولو كانت تلك النظريات علما يقينيا لما تنازعت فيها الافكار ، واختلفت باختلاف الأجيال والأعصار ، فان فلسفة هذا الزمان ، قد تقضت معظم فلسفة اليونان ، وينقض بعضها بعضا في كل عام . واما علم اليقين ، فلا شيء منه بمناقض لهداية الدين ، وان نقض بعض توارخ الكتب المقدسة في بعض الأديان ، وبعض عقائدها المخترعة التي ما انزل الله بها من سلطان . وحاشا دين القرآن ، الذي كفل حفظه الرحمن ، فلم تؤثر فيه تأويلات المتكلمين ، ولا تعليقات المتفقيين ، دع اباطيل أهل الزيغ او الزندقة ، كالباطنية والمتفلسفة . ان في الفلاسفة متدينين ، كما ان فيهم ماديّين ، وكذلك اصحاب العقول الكبيرة من العلماء والقواد والسياسيين . فتولستوي الفيلسوف الروسي كان متدينا . والبرنس بسمارك كان متدينا ، وإمام الاطباء باستور كان متدينا ، وان اكبر قائد حربي في فرنسة اليوم متدين . كما كان ابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد من فلاسفة المسلمين متدينين . وأمثالهم كثيرون في كل أمة

نعم ان دين امثال هؤلاء قد يخالف في أصوله وفروعه دين العوام المقلدين ، لان لاعولهم وفلسفتهم طريقا خاصا في فهمهم الدين ، والعامي المقلد تابع لمن يلقنه ، والبيئة التي يعيش فيها كل منهم تأثير في فهم ما يلقنه . فاذا كان العالم المستقل يخطئ فهم حقيقة الدين في قليل من المسائل ، فالجاهل المقلد اجدر بالخطأ في فهم الاكثر منها . يفتر كثير من مقلدة الإلحاد في أمتنا بمن اشتهر من ملاحدة علماء الأفرنج ، غافلين عن الاعتبار بحال المتدينين منهم ، وما كل من طعن في الكنيسة واهلها من علماء الأفرنج كافر بالله ورسوله . بل لهؤلاء دين غير دين الكنيسة ، وتكفر الكنيسة

لهم كتكفير بعض المتكلمين والصوفية لابن سينا وامثاله. فمن متدنيي الافرنج المقلدون، ومنهم العقليون والموحدون. ولعل دين السواد الاعظم من المتعلمين المهذبين منهم كدين (مدام كلاير): عجوز فرنسية ذات علم وادب، من بيت في ليون محترم، جاورتنا مرة في الدار، فرأيتها لا تذهب الى الكنيسة في ايام الاحاد، فسألتها: ما بالك لا تذهين الى الكنيسة؟ الست متدينة؟ قالت: انا مؤمنة بالله وأصلي له في بيتي، وما فضل الكنيسة على البيت؟ انها لا فضل لها الا ان فيها رجالا يأكلون اموالنا... قلت: اتدينين بعقيدة التثليث؟ قالت لا اعرف التثليث، اعرف ان الرب واحد. قلت وما تقولين في السيد المسيح عليه السلام؟ قالت «مثل نبي» فهذه حال اهل التعليم العالي في التوم. دع السواد الاعظم من العامة، وكثيرا ممن يعدون من الخاصة، الذين يتمسكون بمذاهبهم التقليدية، لا يثنيهم عنها انكار العقليين ولا غيره

أفلا ينظرون من وراء ذلك كله - جهلهم ام عرفوه - الى ما يبذله الإفرنج من ملايين الجنيهات لجمعياتهم الدينية لأجل نشر دينهم في الخافقين، وتعميمه في المشرقين والمغربين؟ يقول بعضهم بغير علم: ان الغرض من ذلك سياسي لا ديني. كذبوا، وحكموا بما لم يعلموا، ان تلك الملايين يبذلها الشعب الذي لا يعرف السياسة. ولا ننكر ان اهل السياسة يستفيدون من سعي المبشرين، فاذا كانت حكومة روسيا تستفيد بسياستها من تنصير دعاة الأرثوذكسية لمسلمي بلادها، وانكلترا تستفيد من تنصير دعاة البروتستانتية لمن ينصرون من اهل الهند والسودان، فاي فائدة سياسية لأمرية في بث دعاة النصرانية في بلاد العرب والترك والفرس والهند وسائر الأقطار؟

تأملت في حال ملاحدة هذا العصر، فما رأيت اشد عمية، وابعد غواية، واضل سبيلا، وافسد قبيلا، من ملاحدة المسلمين الجغرافيين.

ما رأيت احدا منهم صاحب دعوة سياسية في أمته قد ثبت عنده ان الاسلام يعارضها، ويحول دون التحول السياسي والاجتماعي الذي يراد بها، فهو ينفر من الاسلام وينفر عنه لأجلها، كيف وهم يعترفون تبعا لحكام الافرنج بان الدين اقوى

عوامل السياسة ولا سيما دين الاسلام ، كما صرح بذلك علماء الاجتماع ما رأيت احدا منهم صاحب مذهب فلسفي أدبي ثبت عنده أن حكمة الاسلام تناقضه ، وإن صلاح الأمة لا يكون إلا به ، فهو يلجج بالاعتراض على الاسلام ، لأنه عقبة في طريق ما يحاول من الإصلاح . كيف وان التريية عند أئمتهم - أكثر الافرنج لاتزال قائمة على اساس آداب الدين ؟

ما رأيت احدا منهم عني بفقہ القرآن وصحيح السنة ، وما كان عليه سلف الأمة ، ثم عرضت له شبه قوية على صحة تلك الهداية فهو يريد التفصي منها ، وقد خانتة اليينات والدلائل المزيلة لها . كيف ونحن نعلم ان أكثرهم لم يقرأ تفسير سورة من السور ، ولا يميز بين الصحيح والموضوع من الأثر ؟ وان من له إلمام بشيء من علم الدين ، قلما يعرف الا بعض القشور من هذه التقاليد ، فهو يهزأ بالدين لأجل خرافة او بدعة ، يحسب انها عقيدة ثابتة او سنة .

ألا انهم على ما هم عليه من جهل بحقيقة الاسلام ، وقصور عن النهوض بدعوة الى الإصلاح ، يطلقون لسانهم العنان ، فيجمع بهم في كل ميدان . فمنهم من يتشدد بالسياسة ، ومنهم من يتفهيق بالمقابلة بين التمانون والشرعية ، ومنهم من يهذر بالأخلاق والآداب ، ومنهم من يهذي بالاعتراض على العبادات ، يتخذون الكلام في ذلك هزوا ولعبا ، وفاقه يتلذذون بها تلذذا ، في زمن قل فيه العلم بأسرار الدين ، والبصير بحكم التشريع ، الذي يفرق بين الأصول الثابتة بالدليل ، والنصوص التي لا تحتمل التأويل . وبين الفروع المستنبطة بالاجتهاد ، والظواهر التي لم يتعين منها المراد . على ان الأرض لا تخلو من قائم لله بحجته ، ومن مفصح للشرع عن حكمته ، ولكن هؤلاء بمعزل عن الحجة واهلها ، هي مجهولة لهم فهم لا يطلبونها ، ثقيلة عليهم فاذا تليت عليهم آياتها لا يسمعونها . الا من كان سليم الفطرة ، قريب العهد بهذه الهجرة . وطالما تأذنتهم النار ، بما يذهب بالتعلات والاعذار ، من الاستعداد لإزالة كل شبهة ، والتصدي لكشف كل غمة .

ياسبحان الله ! أتبيح السياسة لبسمر ك أعظم رجال أوربة في القرن الماضي - وهو كما قال جمهوري بالطبع - ان يكون على دين يناقض طبعه فيجعل عبدا لملك

بروسية ، لأنه يقول له ان سلطة الملوك من الله ؟ - ولا تبيح لهؤلاء المتشدين منا ان يكونوا على دين سبق كتابه الى وضع اعظم اساس للحكم الذاتي بقوله (وامرهم شورى بينهم) ؟ واقام على هذا الاساس اركان المصالح المرسلة ، وجعل رفع المفسدة مقدما على جلب المصلحة ؛ - الى غير ذلك من الارقان الثابتة ، ثم قس على هؤلاء المتشدين ، أمثالهم من المتفهمين والهاذين والهاذرين .

وان تعجب فعجب خوضهم في مسائل الاخلاق والآداب ، فقد اقلبت عقولهم فيها شر الاقلاب ، حتى صار فيهم من يعد العفة والغيرة والرحمة من الرذائل ، وأضدادها من الفضائل ، بناء على قاعدة الانتخاب الطبيعي التي تفري القوي بالضعيف ، وتبيح له ان يعجل بسلب حياته ويستأثر دونه بزوجه وماله ، ولعل واحدهم لا يرجع عن هذه الغواية الا اذا مسه الضر ، وعضه ناب الفقر ، وتصدى اخوانه في الكفر لا زهاق روحه ، وتعدى أخذانه في الاحاد على عرض زوجه ، ومنعوها من خدمته ومواساته . بناء على قاعدتهم في كون الحق في ذلك للقوي القادر على الإنتاج ، والقيام بشؤون الاجتماع !

ألا إن من بلغ هذه الغاية من ارتكاس الفطرة ، وانتكاس الفكرة ، فصار يرى الحقائق بغير صورها ، ويزن الاشياء بغير ميزانها ، فلا طمع في هدايته ، ولا رجاء في مناظرته ، أولئك الذين ختم الله على قلوبهم وسممهم وأبصارهم ، يجادلونك في الحق بعد ما تبين ، ويمارونك في البديهي وقد تبين .

واما أكثر الخدوعين ، بأوهام هؤلاء المبطلين ، فهم مستعدون لقبول الدليل ، والاهتداء الى سواء السبيل ، اذا تداركهم العلماء والراسخون ، وتعاهدهم الحكماء الربانيون ، ولكن قل العلماء القادرون على كشف الابهات ، وكثر المشتهون ، فالاصلاح موقوف على تكثير سواد المصلحين الجامعين بين علوم الدنيا والدين ، مع استقلال الفكر ، وتزكية النفس ، ولا يكون هذا الا تربية وتعليم ، على صراط الحق المستقيم . فقل للذين هم على الدين يغارون ، : مثل هذا فليعمل العاملون . فسارعوا اليه ان كنتم صادقين ، . وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين .

(المنار-ج ١٧م٧) دعوى تشريع الشيء الخالص المقيد باطلاق العموم ٥١٣

فصل^(*)

﴿الابتداع بالتشدد في الدين . والتزام ما لم يرد وتبع آثار الصالحين ﴾
من كتاب الاعتصام للشاطبي

ثم اتى بماخذ آخر من الاستدلال على صحة ما زعم ، وهو أن الدعاء على ذلك الوجه لم يرد في الشرع نهى عنه مع وجود الترغيب فيه على الجملة ، ووجود العمل به . فان صح أن السلف لم يعملوا به ، فالترك ليس بموجب لحكم في المتروك الا جواز الترك وانتفاء المارج خاصة ، لا تحريم ولا كراهية .

وجميع ما قاله مشكل على قواعد العلم وخصوصا في العبادات - التي هي مسائلنا - اذ ليس لأحد من خلق الله ان يحترع في الشريعة من رأيه امر الا يوجد عليه منها دليل ، لانه عين البدعة ، وهذا كذلك ، اذ لا دليل فيها على اتخاذ الدعاء جهرا للحاضرين في آثار الصلوات دائما ، على حد ما نقام ، بحيث يعد الخارج عنه خارجا عن جماعة أهل الاسلام متجزا ومتميزا^(١) - الى سائر ما ذكر ، وكل ما لا يدل عليه دليل^(٢) فهو البدعة والى هذا^(٣) فان ذلك الكلام يوم ان اتباع المتأخرين المتقلدين خير من اتباع الصالحين من السلف ، ولو كان في احد جائزين ، فكيف اذا كان في امرين احدهما متيقن انه صحيح والآخر مشكوك فيه ؟ فيتبع

(*) تابع لما نشر في ص ٤٣٣ ج ٦

(١) كذا في الاصل (٢) سقط لفظ دليل من الاصل (٣) لعله : وعلى هذا

(المنار- ج ٧) (٦٥) (المجلد السابع عشر)

٥١٤ ما سكت عنه الشارع لعدم وقوع سببه ومقتضيه (المنارج ٧م ١٧)

المشكوك في صحته ، ويترك ما لا مزية في صحته ولو اعا من يتبعه ^(١) ثم اطلاقه القول بان الترك لا يوجب حكما في المتروك الا جواز الترك ، غير جار على أصول الشرع الثابتة . فنقول إن هنا أصلا لهذه المسئلة لعل الله ينفع به من أنصف من نفسه : وذلك ان سكوت الشارع عن الحكم في مسئلة ما او تركه لا أثر ما على ضريين . (احدهما) ان يسكت عنه أو يتركه لأنه لا داعية له نقتضيه ، ولا موجب يقرر لاجله ، ولا وقع سبب تقريره ، كالتوازل الحادثة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فانها لم تكن موجودة ثم سكت عنها مع وجودها ، وانما حدث بعد ذلك ، فاحتاج أهل الشريعة الى النظر فيها واجرائها على ما تبين في الكليات التي كل بها الدين ، وإلى هذا الضرب يرجع جميع ما نظر فيه السلف الصالح مما لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخصوص مما هو معقول المعنى ، كتممين الصنائع ، ومسئلة الحرام ، والجد مع الاخوة ، وعول الفرائض . ومنه جمع المصحف ، ثم تدوين الشرائع ، وما أشبه ذلك مما لم يحتج في زمانه عليه السلام الى تقريره للتقديم ^(٢) كلياته التي تستنبط منها ، اذا لم تقع اسباب الحكم فيها ولا الفتوى منه عليه السلام ، فلم يذكر لها حكم مخصوص .

فهذا الضرب اذا حدثت اسبابه فلا بد من النظر فيه واجرائه على أصوله ان كان من العاديات ، أو من العبادات التي لا يمكن الاقتصار فيها على ما سمع ، كمسائل السهو والنسيان في اجراء العبادات . ولا اشكال

(١) كذا في الاصل (٢) كذا في الاصل وهو محرف . ولعل في الكلام حذفاً أيضاً والمعنى المراد ظاهر ، وهو ان ما لم يحتج الى تقريره في عصر النبوة من جزئيات الاحكام قد وجد في الشريعة من القواعد الكلية ما دخل به ويسمونه تنبسط هو

(المنار- ج ١٧م ١٧) ماسكت عنه الشارع مع وجود سببه ٥١٥

في هذا الضرب ، لان أصول الشرع عقيدة ، واسباب تلك الاحكام لم تكن في زمان الوحي ، فالكسوت عنها على الخصوص ليس بحكم يقتضي جواز الترك أو غير ذلك ، بل اذا عرضت النوازل روجع بها اصولها فوجدت فيها ، ولا يجدها من ليس بمجتهد ، وانما يجدها المجتهدون الموصوفون في علم أصول الفقه .

(والضرب الثاني) أن يسكت الشارع عن الحكم الخاص أو يترك امرا ما من الأمور ، وموجبه المقتضي له قائم ، وسببه في زمان الوحي وفيما بعده موجود ثابت ، الا انه لم يحدد فيه امر زائد على ما كان من الحكم العام في امثاله ولا ينقص منه ، لانه لما كان المعنى الموجب لشرعية الحكم العقلي الخاص موجودا ثم لم يشرع ولا نبه على السبب (١) كان صريحا في ان الزائد على ما ثبت هنالك بدعة زائدة ومخالفة لقصد الشارع ، اذ فهم من قصده الوقوف عند ما مد هنالك لا الزيادة عليه ولا النقصان منه ولذلك مثال فيما نقل عن مالك بن أنس في سماع اشهب وابن نافع هو غاية فيما نحن فيه ، وذلك ان مذهبه في سجود الشكر الكراهية وانه ليس بمشروع وعليه بني كلامه . قال في العتبية : وسئل مالك عن الرجل يأتيه الامر يحبه فيسجد لله عز وجل شكرا ؟ فقال : لا يفعل هذا مما مضى من امر الناس . قيل له : ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه - فيما يذكر - سجد يوم اليمامة شكرا لله . أفسمعت ذلك ؟ قال : ما سمعت ذلك ، وانا أرى ان قد كذبوا على أبي بكر . وهذا من الضلال ان يسمع المرء الشيء فيقول : هذا لم تسمعه مني . قد فتح الله على رسول الله صلى

(١) كذا والمعنى ولم ينبه على قاعدة لاستنباطه منها

٥١٦ البدعة ما سكت الشرع عن حكم فعله وتركه (المنار - ج ٧ م ٧)

الله عليه وسلم وعلى المسلمين بعده . أفسمعت ان احدا منهم فعل مثل هذا ؟ اذ ما قد كان في الناس وجرى على أيديهم سمع عنهم فيه شيء ، فمليك بذلك فانه لو كان لذكر ، لانه من أمر الناس الذي قد كان فيهم ، فهل سمعت ان احدا منهم سجد ؟ فهذا اجماع . واذا جاءك امر لا نعرفه فدعه . تمام الرواية . وقد احتوت على فرض سؤال والجواب بما تقدم .

وتقرير السؤال ان يقال في البدعة - مثلا - : انها فعل سكت الشارع عن حكمه في الفعل والترك ، فلم يحكم عليه بحكم على الخصوص ، فالأصل جواز فعله ، كما أن الأصل جواز تركه ، اذ هو معنى الجائز ، فان كان له أصل جلي فاحرى ان يجوز فعله ، حتى يقوم الدليل على منعه أو كراهته ، واذا كان كذلك ، فليس هنا مخالفة لقصد الشارع ، ولا ثم دليل خالفه هذا النظر ، بل حقيقة مانحن فيه انه أمر مسكوت عنه عند الشارع ، والمسكوت عند الشارع لا يقتضي مخالفة ولا موافقة ، ولا يعين الشارع قصدا مادون ضده وخلافه ، واذا ثبت هذا فالعمل به ليس بمخالف اذ لم يثبت في الشريعة نهى عنه .

وتقرير الجواب : معنى ما ذكره مالك رحمه الله ، وهو أن التشديد عن حكم الفعل أو الترك هنا اذا وجد المعنى المقتضي له اجماع من كل ساكت على أن لازائده على ما كان . اذ لو كان ذلك لا ثقا شرعا أو سائعا لفعلوه ، فهم كانوا احق بادراكه والسبق الي العمل به ، وذلك اذا نظرنا الى المصلحة ، فانه لا يخلو إما أن يكون في هذه الأحداث مصلحة أو لا . والثاني لا يقول به أحد . والاول إما ان تكون تلك المصلحة الحادثة أكد

(المنار-ج ٧ م ١٧) ترك السلف الأمر مع وجود مظنة إجماع على تركه ٥١٧

من المصلحة الموجودة في زمان التكليف أولاً ، ولا يمكن ان يكون ^(١) مع كون المحدث زيادة تكليف ، ونقضه ^(٢) عن المسكاف اخرى بالأزمنة المتأخرة ، لما يعلم من قصور المهم واستيلاء الكسل ، ولأنه خلاف بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ، ورفع الحرج عن الأمة ، وذلك في تكليف العبادات ، لان العادات أمر آخر - كما سيأتي - وقد مر منه ^(٣) فلم يبق الا ان تكون المصلحة الظاهرة الآن مساوية للمصلحة الموجودة في زمان التشريع أو أضعف منها ، وعند ذلك تصير هذه الاحداث عبثاً أو استدراكاً على الشارع ، لان تلك المصلحة الموجودة في زمان التشريع ان حصلت للأولين من غير هذا الاحداث اذا عبث ^(٤) إذ لا يصح أن يحصل للأولين دون الآخرين ؛ فقد صارت هذه الزيادة تشريعاً بعد الشارع بسبب الآخرين ما فات للأولين ^(٥) فلم يكمل الدين إذا دونها ، ومعاذ الله من هذا المأخذ .

وقد ظهر من العادات الجارية فيما نحن فيه ان ترك الأولين لأمر ما من غير أن يعينوا فيه وجها مع احتمال في الأدلة الجمالية ووجود المظنة ، دليل على ان ذلك الأمر لا يعمل به ، وانه إجماع منهم على تركه .

(١) انظر اسم أن يكون وخبره ؟ الظاهر انه قد سقط من النسخ . والمعنى الذي يقتضيه السياق ويتمين مما يأتي هو نفي كون المصلحة الحادثة أكد ، لانه يقول انها مساوية أو أضعف . فلعل أصل الكلام : « ولا يمكن ان يكون أكد » وقوله مع كون المحدث الخ تعليل للنفي (٢) كذا ولعل الأصل نقصه بالصناد المهملة ، أي نقص التكليف وتخفيفه

(٣) كذا ولعل الأصل « وقد مر شيء منه » أو ما هو بمعنى هذا

(٤) لعل الأصل « فنهى اذا عبث » (٥) لعل الأصل « بسبب الآخرين ما فات الأولين »

قال ابن رشد في شرح مسألة العتبية : الوجه في ذلك انه لم يره مما شرع في الدين - يعني سجود الشكر - فرضاً ولا نفلاً ، اذ لم يأمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فعله ، ولا أجمع المسلمون على اختيار فعله ؛ والشرائع لا تثبت الا من احد هذه الامور - قل - واستدلالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ولا المسلمون بعده ، « بان ذلك لو كان لنقل » صحيح ، اذ لا يصح ان تتوفر الدواعي على ترك نقل شريعة من شرائع الدين ، وقد أمروا بالتبليغ - قال - وهذا أصل من الاصول ، وعليه يأتي اسقاط الزكاة من الخضر والبقول مع وجود سبب الزكاة فيها ، لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم « فيما سقت السماء والعيون والبعل العشر ، وفيما سقي بالنضح نصف العشر » لانا نزلنا ترك نقل اخذ النبي صلى الله عليه وسلم الزكاة منها كالسنة القائمة في ان لا زكاة فيها ؛ فكذلك نزل ترك نقل السجود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشكر كالسنة القائمة في ان لا سجود فيه . ثم حكى خلاف الشافعي والكلام عليه ؛ والمقصود من المسئلة توجيه مالك لها من حيث انها بدعة ، لا توجيه انها بدعة على الاطلاق .

وعلى هذا النحو جرى بعضهم في تحريم نكاح المحلل ، وانه بدعة منكورة ، من حيث وجد في زمانه عليه السلام المعنى المقتضي للتخفيف والترخيص للزوجين باجازه التحليل ليتراجعا كما كانا أول مرة ، وانه لما لم يشرع ذلك مع حرص امرأة رفاعة على رجوعها اليه دل على أن التحليل ليس بمشروع لها ولا لغيرها . وهو أصل صحيح اذا اعتبر وضع به ما نحن بصددده ، لأن التزام الدعاء بآثار الصلوات جهرا للحاضرين

(المنار-ج ٧ م ١٧) الفرق بين العادات والعبادات فيما سكوت عنه الشارع ٥١٩

في مساجد الجماعات لو كان صحيحاً شرعاً أو جائزاً لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى بذلك أن يفعله .

وقد علل المنكر هذا الموضع بعلة تقتضي المشروعية ، وبني على فرض أنه لم يأت ما يخالفه وإن الأصل الجواز في كل مسكوت عنه .

أما أن الأصل الجواز فيمتنع ، لأن طائفة من العلماء يذهبون إلى أن الأشياء قبل وجود الشرع على المنع دون الإباحة ؛ فما الدليل على ما قال من الجواز ؟ وإن سلمنا له ما قال : فهل هو على الإطلاق أم لا ؟ أما في العادات فسلم ، ولا نسلم أن ما نحن فيه من العادات ، بل من العبادات ، ولا يصح أن يقال فيما فيه تعبد : أنه مختلف فيه على قولين - : هل هو على المنع ؟ أم هو على الإباحة ؟ بل هو أصراًئد على المنع ، لأن التعبدات إنما وضعوا للشارع^(١) فلا يقال في صلاة سادسة - مثلاً - : إنها على الإباحة ، فلمكلف وضعها - على أحد القولين - ليتعبد بها لله . لأنه باطل باطلاق ، وهو أصل كل مبتدع يريد أن يستدرك على الشارع . ولو سلم أنه من قبيل العادات أو من قبيل ما يعقل معناه ، فلا يصح العمل به أيضاً ، لأن ترك العمل به من النبي صلى الله عليه وسلم في جميع عمره ، وترك السلف الصالح له على توالي أزمنتهم ، قد تقدم أنه نص في الترك واجماع من كل من ترك ، لأن عمل الاجماع كنصه - كما أشار إليه مالك في كلامه - .

وأيضاً فما يعلل له لا يصح التعليل به ؛ وقد أتى الراي باوجه منه (أحدها) أن الدعاء بتلك الهيئة ليظهر وجه التشريع في الدعاء ، وأنه

(١) لعله « إنما وضعها للشارع »

٥٢٠ رد ما عال به الدعاء عقب الصلاة (المنار - ج ٧ م ١٧)

بآثار الصلوات مطلوب . ومأقاله يقتضي ان يكون سنة بسبب الدوام والاظهار في الجماعات والمساجد ؛ وليس بسنة اتفاقا منا ومنه ؛ فاققلب اذا وجه التشريع .

وأيضاً فان اظهار التشريع كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم والى ، فكانت الكيفية المتكلم فيها أولى للاظهار ، ولما لم يفعل عليه السلام دل على الترك مع وجود المعنى المقتضي ، فلا يمكن بعد زمانه في تلك الكيفية الا الترك .

(والثاني) ان الامام يجمعهم على الدعاء ليكون باجتماعهم أقرب الى الاجابة . وهذه العلة كانت في زمانه عليه السلام ، لأنه لا يكون احد اسرع اجابة لدعائه منه ؛ اذ كان محاب الدعوة بلا اشكال ، بخلاف غيره وان عظم قدره في الدين فلا يبلغ رتبته ، فهو كان احق بان يزيدهم الدعاء لهم خمس مرات في اليوم والليلة زيادة الى دعائهم لأنفسهم .
وأيضاً فان قصد الاجتماع على الدعاء لا يكون بعد زمانه أبلغ في البركة من اجتماع يكون فيه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واصحابه ، فكانوا بالتنبيه لهذه المنقبة أولى .

(والثالث) قصد التعليم للدعاء ليأخذوا من دعائه ما يدعون به لانفسهم اثلاً يدعوا بما لا يجوز عقلاً أو شرعاً . وهذا التعليل لا ينهض ، فأن النبي صلى الله عليه وسلم كان المعلم الاول ، ومنه تلقينا ألفاظ الأدعية ومعانيها ؛ وقد كان من العرب من يجهل قدر الربوبية فيقول :

رب العباد مالنا ومالك انزل علينا الغيث لا اباك

وقال الآخر :

(المنار - ج ٧ م ١٧) كون الاجتماع للدعاء تعاونا على البر وتعلما للعامة ٥٢١

لا همُّ ان كنت الذي بعدي ولم تغيرك الامور بعدي
وقال الآخر :

أُنبيّ لبتي لا اجبكم وجد الآله بكم كما اجد
وهي الفاظ يفتقر اصحابها الى التعليم ، وكانوا أقرب عهد بجاهلية
تعامل الاصنام معاملة الرب الواحد سبحانه ، ولا تزهه كما يليق بجلاله ؛
فلم يشرع لهم دعاء بهيئة الاجتماع في آثار الصلوات دائما ليعلمهم أو يعينهم
على التعلم اذا صلوا معه ، بل علم في مجالس التعليم ، ودعا لنفسه إثر الصلاة
حين بدا له ذلك ، ولم يلتفت اذ ذاك الى النظر للجماعة ، وهو كان أولى
بخلق بذلك .

(والرابع) ان في الاجتماع على الدعاء تعاونا على البر والتقوى ، وهو
مأمور به . وهذا الاحتجاج ضعيف . فان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي
انزل عليه (وتعاونوا على البر والتقوى) وكذلك فعل . ولو كان الاجتماع
للدعاء أثر الصلاة جهرا للحاضرين من باب البر والتقوى لكان أول
سابق اليه ، لكنه لم يفعله أصلا ولا احد بعده حتى حدث ما حدث .
فدل على انه ليس على ذلك الوجه بر ولا تقوى .

(والخامس) ان عامة الناس لا علم لهم باللسان العربي ، فربما لحن
فيكون اللحن سبب عدم الاجابة . وحكى عن الاصمعي في ذلك
حكاية شعرية لا فقهية . وهذا الاحتجاج الى اللعب أقرب منه الى الجد ،
وأقرب مافيه ان احدا من العلماء لا يشترط في الدعاء ان لا يلحن كما يشترط

٥٢٢ تعلم اللغة العربية من أمور الدين الاسلامي (المنار-ج ١٧م٧)

الخلاص وصدق التوجيه^(١) وعزم المسئلة، وغير ذلك من الشروط .
وتعلم اللسان العربي لاصلاح الالفاظ في الدعاء - وان كان الامام اعرف به - هو كسائر ما يحتاج اليه الانسان من أمر دينه ؛ فان كان الدعاء مستحبا فالقراءة واجبة، والفقهاء في الصلاة كذلك ؛ فان كان تعليم الدعاء إثر الصلاة مطلوبا ، فتعليم فقه الصلاة أكد ؛ فكان من حقه ان يجعل ذلك من وظائف آثار الصلاة .

فان قيل بموجبه في المحرف المتعارف . فهذه القاعدة تجتث أصله ؛ لأن السلف الصالح كانوا أحق بالسبق الى فضله لجميع ما ذكر فيه من الفوائد ، ولذلك قال مالك فيها : أترى الناس اليوم كانوا ارغب في الخير ممن مضى ؛ وهو اشارة الى الاصل المذكور ، وهو أن المعنى المقتضي للاحداث - وهو الرغبة في الخير - كان أتم في السلف الصالح وهم لم يفعلوه ، فدل على انه لا يفعل .

وأما ما ذكر من آداب الدعاء فكله مما لا يتعين له إثر الصلاة ؛ بدليل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم منها جملة كافية ولم يعلم منها شيئا إثر الصلاة ، ولا تركهم دون تعليم ليأخذوا ذلك منه في آخر الصلاة ، أو ليستغنوا بدعائه عن تعليم ذلك ؛ ومع ان الحاضرين للدعاء لا يحصل لهم من الامام في ذلك كبير شيء ، وان حصل فلمن كان قريبا منه دون من بعد .

(١) أي توجيه القلب الى الله تعالى المأخوذ من قوله (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) ويحتمل ان تكون (التوجه) الذي هو مطاوع التوجيه

فصل

ثم استدلال المستنصر بالقياس فقال : وان صح ان السلف لم يعملوا به ، فقد عمل السلف بما لم يعمل به من قبلهم مما هو خير - ثم قال بعد : قد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه « تحدث للناس اقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور » فكذلك تحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما أحدثوا من الفتور .

وهذا الاستدلال غير جار على الاصول : (أما أولاً) فإنه في مقابلة النص ، وهو ما أشار اليه مالك في مسألة العتبية ، فذلك من باب فساد الاعتبار . (وأما ثانياً) فإنه قياس على نص لم يثبت بعد من طريق مرضي ؛ وهذا ليس كذلك . (وأما ثالثاً) فإن كلام عمر بن عبد العزيز فرع اجتهادي جاء عن رجل مجتهد يمكن أن يخطئ فيه كما يمكن أن يصيب ، وانما حقيقة الاصل أن يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أهل الاجماع ؛ وهذا ليس عن واحد منهما . (وأما رابعاً) فإنه قياس بغير معنى جامع أو بمعنى جامع طردي^(١) ؛ ولكن الكلام فيه سيأتي - إن شاء الله - في الفرق بين المصالح المرسلة والبدع .

وقوله « ان السلف عملوا بما لم يعمل به من قبلهم » حاش لله ان يكونوا ممن يدخل تحت هذه الترجمة . وقوله « مما هو خير » أما بالنسبة الى السلف فما عملوا خيراً ؛ وأما فرعه المقيس فكونه خيراً دعوى ، لأن كون الشيء خيراً أو شراً لا يثبت الا بالشرع ، أو لأن الدعاء على تلك الهيئة غير خير شرعاً .

(١) لعل الاصل « غير طردي »

٥٢٤ كلمة عمر بن عبد العزيز: تحدث للناس أقضية (المنار - ج ٧ م ١٧)

وأما قياسه على قوله «تحدث للناس أقضية» فما تقدم^(١) وفيه أمر آخر، وهو التصريح بأن إحداث العبادات جائز قياساً على قول عمر، وإنما كلام عمر بعد تسليم القياس عليه في معنى عادي يختلف فيه مناط الحكم الثابت فيما تقدم، كمتضمنين الصناعات، أو الظنة في توجيه الإيمان، دون مجرد الدعاوى، فيقول: إن الأولين توجهت عليهم بعض الأحكام لصحة الأمانة والديانة والفضيلة؛ فلما حدثت اضدادها اختلف المنط فوجب اختلاف الحكم، وهو حكم رادع أهل الباطل عن باطلهم؛ فأثر هذا المعنى ظاهر مناسب بخلاف مانحن فيه، فإنه على الضد من ذلك؛ ألا ترى أن الناس إذا وقع فيهم الفتور عن الفرائض فضلا عن النوافل - وهي ماهي من القلة والسهولة - فما ظنك بهم إذا زيد عليهم أشياء أخرى يرغبون فيها، ويرخصون^(٢) على استعمالها؛ فلا شك أن الوظائف تتكاثر حتى يؤدي إلى أعظم من الكسل الأول، وإلى ترك الجميع. فإن حدث للعامل بالبدعة هو في بدعته، أو لمن شايعه فيها، فلا بد من كسله مما هو أولى^(٣)

فنحن نعلم أن ساهر ليلة النصف من شعبان لتلك الصلاة المحدث لا يأتيه الصبح إلا وهو نائم أو في غاية الكسل فيخل بصلاة الصبح،

(١) كذا والظاهر أنه سقط منه شيء. ولعل أصله «فما تقدم يعلم بطلانه»

(٢) كذا والترخيص هنا غير مناسب ولا يتعدى إلى فعل الأصل «ويحضون»

(٣) ظاهر أن في هذه العبارة غلطا. والمعنى المفهوم من السياق أن صاحب البدعة إذا كان يعرض له الكسل في بدعته ولمن شايعه عليها، فلا بد من عرض الكسل له في غيرها من الأعمال بالأولى. لأن نظرية البدعة أنها مجديتها تحدث نشاطا بعد الفتور كما تقدم

(المنار- ج ٧م ١٧) شرع العمل للأفراد لا بديل شرعية الاجتماع له ٥٢٥

وكذلك سائر المحدثات ، فصارت هذه الزيادة عائدة على ما هو أولى منها بالإبطال أو الإخلال ؛ وقد مر أن ما من بدعة تحدث إلا ويموت من السنة ما هو خير منها .

وأيضاً فإن هذا القياس مخالف لأصل شرعي ، وهو طلب النبي صلى الله عليه وسلم بالسهولة والرفق والتيسير وعدم التشديد . وزيادة وظيفة لم تشرع فتظهر ويعمل بها دائماً في مواطن السنن ، فهو تشديد بلا شك . وإن سلمنا ما قال ، فقد وجد كل مبتدع من العامة السبيل إلى أحداث البدع ، وأخذ هذا الكلام بيده حجة وبرهانا على صحة ما يحدثه كثنا ما كان ؛ وهو صرمي بعيد .

*
* *

ثم استدلل على جواز الدعاء إثر الصلاة في الجملة ، ونقل في ذلك عن مالك وغيره أنواعاً من الكلام ، وليس محل النزاع^(١) بل جعل الأدلة شاملة لتلك الكيفية المذكورة . وعقب ذلك بقوله : وقد تظاهرت الأحاديث والآثار وعمل الناس وكلام العلماء على هذا المعنى ، كما قد ظهر — قال — ومن المعلوم أنه عليه السلام كان الإمام في الصلوات ، وأنه لم يكن ليخص نفسه بتلك الدعوات ، إذ قد جاء في سنته « لا يحل لرجل أن يؤم قوماً إلا بأذنهم ، ولا يخصص نفسه بدعوة دونهم ، فإن فعل فقد خانهم » . فتأملوا يا أولي الألباب ! فإن عامة النصوص فيما سمع من ادعيتيه في إدار الصلوات إنما كان دعاء لنفسه ؛ وهذا الكلام يقول فيه : إنه لم يكن ليخصص نفسه بالدعاء دون الجماعة ؛ وهذا تناقض . ومن الله نسال التوفيق .

(١) لفظ محل منصوب خبر ليس ، أي وليس هذا محل النزاع

وإنما حمل الناس الحديث على دعاء الإمام في نفس الصلاة من السجود وغيره ، لا فيما حمّله عليه هذا المتأول . ولما لم يصح العمل بذلك الحديث عند مالك أجاز للإمام أن يخص نفسه بالدعاء دون المأمومين . ذكره في النوادر . ولما اعترضه ثقل العلماء وكلام السلف مما تقدم ذكره ، أخذ يتأول ويوجه كلامهم على طريقته المرتكبة ^(١) ووقع له في كلام على غير تأمل لا يسلم ظاهره من التناقض والتدافع لوضوح أمره ، وكذلك في تأويل الأحاديث التي نقلها ، لكن تركت هنا استيفاء الكلام عليها لطوله ، وقد ذكرته في غير هذا الموضع والحمد لله على ذلك

فصل

*** (بحث جليل في كون المشتبهات تدخل في البدع الإضافية) ***

من كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي ، قال رحمه الله تعالى :

ويمكن أن يدخل في البدعة الإضافية كل عمل اشتبه أمره فلم يتبين أنه بدعة فينهى عنه ؛ أم غير بدعة فيعمل به ؛ فإنا إذا اعتبرناه بالأحكام الشرعية وجدناه من المشتبهات التي قد ندبنا إلى تركها حذرا من الوقوع في المحذور ؛ والمحذور هنا هو العمل بالبدعة ؛ فإذا العامل به لا يقطع أنه عمل ببدعة ، كما أنه لا يقطع أنه عمل بسنة ؛ فصار من جهة هذا التردد غير عامل ببدعة حقيقية ، ولا يقال أيضا : أنه خارج عن العمل بها جملة .

وبيان ذلك أن النهي الوارد في المشتبهات إنما هو حماية أن يقع في ذلك الممنوع الواقع فيه الاشتباه ؛ فإذا اختلطت الميتة بالذكية نهيناه عن الأقدام ، فإن أقدم أمكن عندنا أن يكون آكلا للميتة في الاشتباه ؛

(١) كذا وأصله « المرتكبة »

(المنار- ج ١٧م٧) تعارض الأدلة على المجتهد كتعارض الأقوال على المقلد ٥٢٧

فالنهي الاخف اذاً منصرف نحو الميتة في الاشتباه ، كما انصرف اليها النهي الأشد في التحقق .

وكذلك اختلاط الرضعة بالاجنبية : النهي في الاشتباه منصرف الى الرضعة كما انصرف اليها في التحقق ، وكذلك سائر المشتبهات انما ينصرف نهي الاقدام على المشتبه الى خصوص الممنوع المشتبه ؛ فاذا الفعل الدائر بين كونه سنة أو بدعة اذا نهي عنه في باب الاشتباه نهي عن البدعة في الجملة ؛ فمن أقدم على منهي عنه في باب البدعة لأنه محتمل ان يكون بدعة في نفس الأمر ، فصار من هذا الوجه كالعامل بالبدعة المنهي عنها — وقد مر أن البدعة الاضافية هي الواقعة ذات وجهين — فلذلك قيل : ان هذا القسم من قبيل البدع الاضافية . ولهذا النوع أمثلة .

(أحدها) اذا تعارضت الأدلة على المجتهد في ان العمل الفلاني مشروع يتعبد به ، أو غير مشروع فلا يتعبد به ، ولم يتبين له جمع بين الدليلين ، أو إسقاط احدهما بنسخ أو ترجيح أو غيرها — فقد ثبت في الاصول ان فرضه التوقف ، فلو عمل بمقتضى دليل التشريع من غير مرجح لكان عاملاً بمتشابه ، لا مكان صحة الدليل بعدم المشروعية ، فالصواب الوقوف عن الحكم رأساً ، وهو الفرض في حقه .

(والثاني) اذا تعارضت الأقوال على المقلد في المسئلة بعينها ؛ فقال بعض العلماء بكون العمل بدعة . وقال بعضهم : ليس بدعة . ولم يتبين له الأرجح من العالمين بأعلمية أو غيرها ؛ فحقه الوقوف والسؤال عنها حتى يتبين له الأرجح فيميل الى تقليده دون الاخر ، فان أقدم على تقليد احدهما من غير مرجح كان حكمه حكم المجتهد اذا أقدم على العمل باحد

٥٢٨ تعارض الأدلة على المجتهد كتمارض الأقوال على المقلد (المنار- ج ٧ م ١٧)

الدليلين من غير ترجيح ، فالمثالان في المعنى واحد .

(والثالث) انه ثبت في الصحاح عن الصحابة رضي الله عنهم انهم يتبركون^(١) بأشياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ففي البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فأتي بوضوء فتوضأ ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به ، الحديث . وفيه : كان اذا توضأ يقتتلون على وضوئه . وعن المسور رضي الله عنه في حديث الحديبية « وما انتخم النبي صلى الله عليه وسلم بخامة الا وضعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده » وخرج غيره من ذلك كثيرا في التبرك بشعره وثوبه وغيرها ؛ حتى انه مس باصبعه احدهم بيده فلم يخلق ذلك الشعر الذي مسه عليه السلام حتى مات و بالغ بعضهم في ذلك حتى شرب دم حجامته ؛ -- الى اشياء لهذا^(٢) كثيرة . فالظاهر في مثل هذا النوع ان يكون مشروعا في حق من ثبتت ولايته واتباعه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان يتبرك بفضله وضوئه ، ويتدلك بنخامته ، ويستشفي بآثاره كلها ، ويرجي نحو مما كان في آثار المتبوع الاصل^(٣) صلى الله عليه وسلم^(٤) .

إلا أنه عارضا في ذلك أصل مقطوع به في متنه ، مشكل في تنزيهه ؛ وهو أن الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه السلام لم يقع من احد منهم شيء من ذلك بالنسبة الى من خلفه ، اذ لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم بعده في الامة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ فهو كان

(١) لعل الاصل : كانوا يتبركون (٢) لعله : كهذا (٣) يظهر ان هذه الجملة محرفة

(٤) قد استفاض انه (ص) كان ينهى عن الغلو في تعظيمه

(المنار-ج ٧ م ١٧) سبب عدم التبرك بالصحابة وسائر الصالحين ٥٢٩

خليفته ، ولم يفعل به شيء من ذلك ، ولا عمر رضي الله عنهما ، وهو كان أفضل الأمة بعده ، ثم كذلك عثمان ثم علي ، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة ؛ ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف ان متبركا تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها ؛ بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء .
وبقي النظر في وجه ترك ما تركوا منه ، ويحتمل وجهين :

(أحدهما) ان يعتقدوا فيه الاختصاص وان مرتبة النبوة يسع فيها ذلك كله ، للقطع بوجود ما التمسوا من البركة والخير ؛ لانه عليه السلام كان نورا كله في ظاهره وباطنه ، فمن التمس منه نورا وجدته على أي جهة التمس ؛ بخلاف غيره من الأمة - وان حصل له من نور الاقتداء به والاهتداء بهديه ما شاء الله - لا يبلغ مبلغه على حال توازيه في مرتبته ، ولا تقاربه ؛ فصار هذا النوع مختصا به كاختصاصه بنكاح ما زاد على الأربع ، واحلال بضعة الواهبة نفسها له ، وعدم وجوب القسم على الزوجات ^(١) وشبه ذلك ؛ فعلى هذا المأخذ : لا يصح لمن بعده الاقتداء به في التبرك على أحد تلك الوجوه ونحوها ؛ ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة ، كما كان الاقتداء به في الزيادة على أربع نسوة بدعة .

(الثاني) ان لا يعتقدوا الاختصاص ولكنهم تركوا ذلك من باب الذرائع خوفا من ان يجعل ذلك سنة - كما تقدم ذكره في اتباع الآثار -

لعل أصله : وعدم وجوب القسم عليه للزوجات

(المجلد السابع عشر)

(٦٧)

(المنار-ج ٧)

٥٣٠ التبرك بالصالحين سبب الشرك (المنار - ج ٧ م ١٧)

والنهي عن ذلك؛ أو لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حد، بل تتجاوز فيه الحدود، وتبالغ يجهلها في التماس البركة، حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج عن الحد، فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس فيه؛ وهذا التبرك هو أصل العبادة، ولا جله قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ بل هو كان أصل عبادة الاوثان في الامم الخالية - حسبما ذكره أهل السير - نخاف عمر رضي الله عنه ان يتمادى الحال في الصلاة الى تلك الشجرة حتى تعبد من دون الله؛ فكذلك يتفق عند التوغل في التعظيم.

ولقد حكى الفرغاني مذيّل تاريخ الطبري عن الحلاج ان اصحابه بالنوا في التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرتة، حتى ادعوا فيه الالهية. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ولأن الولاية وان ظهر لها في الظاهر آثار فقد يخفى أمرها، لانها في الحقيقة راجعة الى أمر باطن لا يعلمه الا الله، فربما ادعيت الولاية لمن ليس بولي، او ادعاها هو لنفسه، أو أظهر خارقة من خوارق العادات هي من باب الشعوذة لا من باب الكرامة، أو من باب^(١) أو الخواص أو غير ذلك؛ والجمهور لا يعرف الفرق بين الكرامة والسحر، فيعظمون من ليس بمعظم، ويقتدون بمن لا قدوة فيه - وهو الضلال البعيد - الى غير ذلك من المفاسد. فتركوا العمل بما تقدم - وان كان له أصل - لما يلزم عليه من الفساد في الدين

(١) ياض في الاصل، ولعل الساقط لفظ «السحر» فانه يذكره قريبا

(المنار-ج ٧م ١٧) انكار النبي التبرك به وما عرف حكمة التبرك ٥٣١

وقد يظهر بأول وهلة ان هذا الوجه الثاني ارجح، لما ثبت في الاصول العلمية ان كل قربة أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم فإن لأئمة انموذجا منها، ما لم يدل دليل على الاختصاص .

الا ان الوجه الاول أيضاً راجح من جهة أخرى ، وهو إطباقهم على عدم التبرك ، اذ لو كان اعتقادهم التشريع لعمل به بعضهم بعده ، أو عملوا به ولو في بعض الاحوال ، إما وقوفاً مع اصل المشروعية ، وإما بناء على اعتقاد انتفاء العلة الموجبة للامتناع .

وقد خرج ابن وهب في جماعة من حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب ؛ قال : حدثني رجل من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ أو تنخم ابتدر من حوله من المسلمين وضوءه ونخامته فشر به ومسحوا به جلودهم ، فلما رأهم يصنعون ذلك سألهم « لم تفعلون هذا ؟ قالوا : نلتمس الطهور والبركة بذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان منكم يحب ان يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث ، وليؤد الأمانة ولا يؤذ جاره » فان صح هذا النقل فهو مشعر بان الاولى تركه^(١) وان يتحرى ما هو الآكد والاحرى من وظائف التكليف ؛

(١) قد يقال : ان هذا يدل على الانكار وكراهة النبي (ص) لهذا الفعل ، ويؤيده ما ثبت من مجموع سيرته من كراهة الغلو فيه واطرائه ، وحببه للتواضع ومساواة الناس بنفسه في المعاملات كلها : الا ما خصه الله به ، حتى انه طلب ان يقتصر منه من لعله آذاه - وهو القائد والمرابي الذي جعله الله اولى بالمؤمنين من انفسهم - ولم يعرف من الاحوال التي تبركوا فيها بفضله وضوئه وبيصاقه الا يوم الحديبية . وظهر له يومئذ حكمة ، فان مندوب المشركين في صلح الحديبية لما حدثهم بما رأى من ذلك هابوا النبي (ص) وخافوا قتال المسلمين فاعل المسلمين قصدوا هذا لهذا

٥٣٢ من البدع الإضافية اداء عبارة على غير وجهها (المنار-ج ٧ م ١٧)

ولا يلزم الانسان في خاصة نفسه ؛ ولم يثبت من ذلك كله الا ما كان من قبيل الرقية وما يتبعها، أو دعاء الرجل لغيره على وجه سيأتي بحول الله .
فقد صارت المسئلة من اصلها دائرة بين أمرين : ان تكون مشروعة ،
فدخلت تحت حكم المتشابه والله أعلم .^(١)

فصل

ومن البدع الإضافية التي تقرب من الحقيقية ان يكون أصل العبادة مشروعاً إلا انها تخرج عن أصل شرعيتها بغير دليل ، توهماً انها باقية على أصلها تحت مقتضى الدليل ؛ وذلك بأن يقيد إطلاقها بالرأي ، أو يطلق تقييدها ، وبالجملّة فتخرج عن حدها الذي حد لها .

ومثال ذلك ان يقال : ان الصوم في الجملة مندوب اليه لم يخصه الشارع بوقت دون وقت ، ولا حذفيه زماناً دون زمان ، ما عدا ما نهى عن صيامه على الخصوص كالعيدين ، وندب اليه على الخصوص كعرفة وعاشوراء بقول ؛ فاذا خص منه يوماً من الجمعة بعينه ، أو أياماً من الشهر بأعيانها - لا من جهة ما عينه الشارع - فان ذلك ظاهر بأنه من جهة اختيار المكلف ، كيوم الاربعاء مثلاً في الجمعة ، والسابع والثامن في الشهر ، وما أشبه ذلك ؛ بحيث لا يقصد بذلك وجهاً بعينه مما لا ينثني عنه . فاذا قيل له : لم خصصت تلك الايام دون غيرها ؛ لم يكن له بذلك حجة غير التصميم ، أو يقول : ان الشيخ الفلاني مات فيه أو ما أشبه ذلك ؛ فلا شك انه رأي محض بغير دليل ، ضاهى به تخصيص الشارع أياماً بأعيانها

(١) ينظر أين الامر الثاني ؟ ولعل الساقط « او تكون غير مشروعة »

(المنار-ج ٧ م ١٧) البدعة بتخصيص القرب بزمان أو مكان أو هيئة ٥٣٣

دون غيرها . فصار التخصيص من المكلف بدعة ، إذ هي تشريع بغير مستند

ومن ذلك تخصيص الأيام الفاضلة بأنواع من العبادات التي لم تشرع لها تخصيصاً ، كتخصيص اليوم الفلاني بكذا وكذا من الركعات ، أو بصدقة كذا وكذا ، أو الليلة الفلانية بقيام كذا وكذا ركعة ، أو بحتم القرآن فيها أو ما أشبه ذلك ^(١) فان ذلك التخصيص والعمل به إذا لم يكن بحكم الوفاق أو بقصد يقصد ومثله أهل العقل والفراغ والنشاط ، كان تشريعاً زائداً

لا حجة له في أن يقول : ان هذا الزمان ثبت فضله على غيره فيحسن فيه إيقاع العبادات . لانا نقول : هذا الحسن هل ثبت له أصل أم لا ؛ فان ثبت فمستأثنا ^(٢) كما ثبت الفضل في قيام ليالي رمضان وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام الاثنين والخميس فان لم يثبت فما مستندك فيه . والعقل لا يحسن ولا يقبح ، ولا شرع يستند اليه ؛ فلم يبق الا انه ابتداء في التخصيص ، كاحداث الخطب وتحري ختم القرآن في بعض ليالي رمضان . اهـ

(١) ومنه صلاة الرغائب وصلاة ليلة النصف من شعبان ، ومنه تخصيص أيام معينة لزيارة القبور والصدقة عندها كاول جمعة من رجب . كل ذلك من البدع والتشريع الذي لم يأذن به الله . وقد يتصل بالبدعة الواحدة بدع ومعاص أخرى توجب تركها - ولو لم تكن بدعة - لسد ذريعة هذه المفاسد (٢) أي فهو مستأثنا

٥٣٤ الجنسيات في المملكة العثمانية. وتترك عناصرها (المنار- ج ٧ م ١٧)

الجنسيات في المملكة العثمانية

الجنس في عرف اهل السياسة كالصنف في عرف علماء المنطق ، فيطلق على الأجيال التي تفصل بينها الفصول العامة (كالنسب واللغة) وهما اقدم روابط الجنسية ؛ ويليهما الدين والوطن الأرضي والسياسي . ولم يوجد دين من الأديان ألف بين شعوب وقبائل مختلفة في جميع روابط الجنسية وجعلها أمة واحدة وجنسا واحدا الا الدين الاسلامي وقد بينا هذا مرارا فلا نعيده الآن . ولما كان اتحاد الأمة لا يتم الا بوحدة لغتها كان من مقاصد الاسلام جعل لغة القرآن لغة لجميع المسلمين ، وعلى هذا جرى المسلمون في خير القرون بالعمل ، فصارت العربية لغة المسلمين في المشرق والمغرب من القرن الأول . وقد زال من نفوس المسلمين الشعور بالغيرية الجنسية زمنا طويلا ، حتى أحياء الفرس والترك كما بينا من قبل .

ان العصبية الجنسية في هذا العصر قد دخلت في طور سياسي جديد ، وكان العرب آخر الأجناس شعورا بها ، لأن سوادهم الأعظم مسلمون لا يكادون يشعرون بغير الجنسية الدينية . ولكن الاستانة بسياسة حكومتها وادارتها بعد الدستور وسياسة جرائدها قد كونت هذا الشعور وجعلته حيا ناميا ، فصدقت كلمتي المحفوظة : « ان العرب يعجزون بأنفسهم ، عن تكوين جنسية عربية سياسية لهم ، ولا يقدر على ذلك الا الآستانة وحدها » ولما رأينا بوادر هذا الأمر وكنا نعلم ان التحولات الاجتماعية السريعة تكون دائما محفوفة بالخطار - سعينا لتدارك الخطر في الآستانة نفسها ، ومقالاتنا الست التي نشرناها هنالك تحت عنوان (العرب والترك) لا تزال محفوظة تشهد لنا بأننا سعينا الى الوحدة بين العنصرين جد السعي ، وبيننا من الحجب على ذلك ما لم يبينه أحد ، ولكن ذلك كله لم يفد ، ولماذا ؟

ان من المقاصد الأساسية لجمعية الاتحاد والترقي احياء الجنسية التركية وتقويتها لتوجد منها أمة تركية كأم أوروبا في مدينتها ، ودولة تركية كدول أوروبا في عزتها وحضارتها ، وكانوا يظنون انهم يستطيعون بقوة الدولة أن يتركوا جميع الأجناس العثمانية في البلاد الحضرية القابلة للعمران ، ويجعلوا سائر البلاد مستعمرات ليس لها

من الحقوق ما لساأر العثمانيين . ولهذا كانوا يحدون في تقوية الجنسية التركية ونشر اللغة التركية ، ويعاقبون من يقتدي بهم في ذلك من غير الترك اشد العقاب دار الفلك دورته ، فثبت للاتحاديين ضرر هذه التجربة - محاولة تترك شعوب المملكة - ، وكان من نتائجها المشؤومة الفتنة الالبانية ، فالحرب البلقانية العثمانية ، فرجعوا عن فكرة تعميم تترك الشعوب كلها الى الاكتفاء بتترك الضعيف منها ، اما بقلة العدد كاللاز والشركس ، واما بقلة العلم وعدم تدوين اللغة كالأكراد ، واما بالخضرة في اللغة كالعرب المتصلين بالترك بالقرب من الاناضول ، ثم بتقوية اللغة التركية في جميع البلاد العثمانية ، وجعل الارتقاء في الحكومة والعلوم والمدنية موقوفا عليها . وترتب على هذا ترك الضفط السابق على المستيقظين من الشعوب الكبيرة ، اذ كانت الجرائد تحاكم وتقفل اذا ذكرت اسم جنسها ، والاعتصام بجبل لقتها ، والتذكير بمجد سلفها ، حتى ان المجلس العسكري العرفي في بيروت حاكم مدير جريدة المفيد وعده مجرما وحكم بمنع صدور الجريدة بذب غريب جدا في هذا الباب ، وهو كلمة (يا قوم) وردت في قصيدة ، نشرت في تلك الجريدة !! قرر رئيس المجلس واعضاؤه من الترك ان كلمة (يا قوم) معناها عنصر العرب ، فذكرها تفريق بين العناصر العثمانية ، وهو من اعظم الجنايات !! . [كما مر] ذلك بأن الترك يستعملون كلمة « قوم » بمعنى الجنس والجيل من الناس الذي يعبرون عنه بالعنصر . ولم يلتفت المجلس لاحتجاج المتهم بأن القصيدة المنشورة في جريدته عربية ولفظ القوم في اللغة العربية معناه الجماعة من الناس ، كما هو منصوح في المعاجم ، قيل يشمل الرجال والنساء ، وقيل هو خاص بالرجال ... وان الشعراء يستعملونه الآن بمعنى (يا ناس)

كانت جمعية الاتحاد والترقي قد صرحت تصريحاً نشرته جريدتها (طنين) بالرجوع عن فكرة « تترك العناصر » وكان ذلك مداراة لم يصدق العمل ، ولكنها في العهد الأخير عقدت اتفاقاً مع (جمعية الشبيبة العربية) التي يمثلها (المتدى الادبي) في الاستانة ، واشهروا هذا الاتفاق بالاحتفالات والمآدب ، وجعلوه وسيلة وذريعة للاتفاق بين جمعية الاتحاد والترقي والمؤتمر العربي الذي انعقد في

باريس . وصار زعماء الجمعية من وزراء الحكومة يزورون المنتدى الادبي ويحضرون بعض احتفالاته ، وتمثيل القصة العربية التي يمثلها اعضاؤه كل سنة ، وقد احتفل اعضاء المنتدى في هذا العام بذكرى المولد النبوي الشريف فحضر احتفالهم فيه طلعت بك ناظر الداخلية وجمال باشا ناظر البحرية (الآن) وخطب طلعت بك بالتركية باستمسك الترك بالعرب ، وانهم اذا فروا منهم يتبعونهم ويلتزمونهم ، فاهتزت لهذه الخطبة اسلاك البرق في العالم ، ووعد الزعيم الكبير في خطبته هذه بأن يخطب في احتفال مولد العام القابل بالعربية . هذا بعد ان كان اعضاء المنتدى الادبي لا يسمون انفسهم جمعية خوفا من اقفال الحكومة الاتحادية لناديهم ، ومحاكتهم على ذلك في المجلس العسكري العرفي . فآين هذا من تسقط هذا المجلس لبعض اعضاء المنتدى بتسميتهم جمعية ليعترف بعضهم بذلك فيحكم المجلس فيهم حكمه ؟ وقع هذا التسقط في تحقيق المجلس مع المتهمين في حادثة الاعتداء على صاحب جريدة (اقدم) التركية الشهيرة ، عقب نشر مقالة أهين بها العرب ، وكان المنتدى الادبي لم يتجاوز السنة الأولى من عمره .

علم من هذا ان السياسة الجديدة التي ظهر بها الاتحاديون في العاصمة هي ان العصبية الجنسية نافعة او ضرورية لترقي كل جنس ، وانه يمكن الجمع بينها وبين الوحدة العثمانية ، ولا سيما الوحدة بين العرب والترك من العثمانيين . وانه يجب على كل جنس ان يرقى نفسه من غير ان يضر غيره او يحول دون الوحدة العثمانية .

وقد سر جمهور المتعلمين من العرب بهذه السياسة الجديدة ، وهم لا يشترطون لاعتقاد اخلاص الاتحاديين للعرب فيها الا اطلاق الحرية لجرائدهم وجماعاتهم وافرادهم كما اطلقوها للترك ، ومساواة الحكومة بينهما في التربية والتعليم والمساعدة على الاعمال . ولكن الترك في هذا الطور الجديد قد ألفوا عدة جمعيات تركية محضة ، وقاموا بعدة مشروعات تركية خالصة ، وألفوا عدة كتب ورسائل في النهضة التركية والرابطة الجنسية البحتة ، وصار شغل جرائدهم الشاغل وجوب انشاء أمة تركية محضة ودولة تركية محضة وكان كلام بعضهم في هذا ان الدولة تركية لا عثمانية ، وان العثمانية وهم من الاوهام . ولم يفعل العرب شيئا يذكر من ذلك . نعم ان بعضهم

(المنار - ج ٧ م ١٧) الجنسية والاسلام وحزب اللامركزية ٥٢٧

يتكلم او يكتب في الجرائد كتابة تعد ضئيلة نحيلة اذا قيست بما يكتبه الترك . ولم أر لأحد منهم مصنفًا خاصًا في هذا الموضوع الا رسالة لأحد أدباء بيروت من آل الفاخوري . ونشر بعض الغلاة منشورات تهيج وتوردة وقالوا فيها ان لهم جمعية ، وانا لا اصدق ذلك

الجنسية والاسلام وحزب اللامركزية

بعد هذا كله قام من كتاب العرب كاتب من طائفة لها دين لا يتفق مع دين الاسلام في اصوله ولا فروعهِ (١) فكتب كتابا جعل نفسه فيه اشد اسلامًا من جميع علماء الاسلام ، واشد عصبية تركية من غلاة الترك انفسهم ، واشد اتحادية من زعماء جمعية الاتحاد والترقي ووزرائها ، اذ قام يجاهد فيه الجنسية العربية وحدها ، ويجعلها هادمة للاسلام الذي يغار عليه بزعمه ما لا يغار عليه الذين افنوا اعمارهم في القيام به علما وعملا ودعوة ودفاعا . ويلصق تهمة هذه الجناية على الاسلام بحزب اللامركزية وحده . على ان حزب اللامركزية عثماني محض ليس في برنامجه ولا في بياناته كلمة واحدة تدعو الى الجنسية العربية ، او تنفر من الجنسية التركية ، وانما هو يدعو جميع العثمانيين الى مطالبة الحكومة بالادارة اللامركزية ، بالطرق المشروعة القانونية ، نعم ان فكرته قد انتشرت في العرب لأن المؤسسين له من العرب ، ولم يقدروا على نشر دعوتهم في غير الشعب العربي . وذلك الكاتب المنحجي عليهم يقول : ان دعوتهم لم يحفل بها احد يذكر ، ولم يستجب لها الا عدد لا يقدم ولا يؤخر . فلماذا غني اذا بتأليف كتاب خاص في التشنيع عليهم ؟

ما رأيت مثالا لإطالة هذا الكاتب القدح في حزب اللامركزية - بدعوى الجناية على الاسلام بتقوية الجنسية العربية وجعلها هي واللامركزية التي تراد لاجلها اسرع ما يمحو الاسلام ويوقع الملكية في ايدي الاجانب . ! ! - الا

(١) دين هذه الطائفة سري ومن المعروف عنهم جواز مشايعة غير اهل دينهم على سبيل التقية . ولهذا صرح بعض الفقهاء بعدم الاعتداد باظهار احد منهم للاسلام . واما انا فأرى صحة اسلام من تدل القرائن على صدقه ، كن يصرح على مسمع من اهل ملته بالخروج منهم وبتخطئتهم في دينهم مع التزام الاسلام بالعمل .

(المنار - ج ٧) (٦٨) (المجلد السابع عشر)

ما اطل به كاتب امريكاني في التشنيع على جمعية ابطال المسكرات في امريكة . ذلك بان هذه الجمعية سلكت اخيرا السبيل القانوني الموصل الى غرضها الشريف ، وهو السعي لانتخاب اعضائها ومشايعها لمجلس النواب . وقد فازوا في بعض الولايات فوزا عظيما ، فانبرى لمحاربتهم تجار المسكرات ، الذين يربحون منها الملايين من الريالات ، وكان اغرب حربهم القلمية ، مقالات لأحد الكتاب عنوانها (الحرية الشخصية) مترك هذا الكاتب شيئا اهتدى اليه باطلاعه وذكائه في مدح الحرية الشخصية الا وقاله ، وجعل ابطال المسكرات مزيلا له ، كأنه الذي يهدم الحكومات الدستورية ، ويوقع العالم في الفوضى والهمجية !! فكثير من كلامه حق أريد به باطل ، ومنه ما هو باطل أريد به باطل ، وهكذا فعل كاتبنا العربي . وتقول في كل منهما : انه يمكن تفنيد مقالاته ، ودحض شبهاته ، بمقالات اصح منها دليلا ، واقوم قيلا ، واوسع تفصيلا . ولكن الرد على ما يكتب اتباعا للهوى ، وارتياذا للنصاب إضاعة للوقت ، وسبب للتمادي في الباطل واللغو .

قد يظن هذا الكاتب ويظن من تقرب اليهم بما كتب ، ممن لا يحبون ان تقوم للعرب قائمة ، ولا تستيقظ لهم عين نائمة ، ان مثل هذه الكتابة تقنع السواد الاعظم من مسلمي العرب بأن لا يجيبوا دعوة لمن يدعونهم الى احياء لغتهم ، والى قيامهم بعمران بلادهم ، والاستئثار بخيراتهما دون الصهيونيين والاجانب ، الذين تقذفهم بهم الحكومة المركزية من كل جانب ، بما تعطيه من امتياز ، وما تمكن لهم من امتلاك البلاد ، وان يبنذوا هؤلاء الدعاة الى الاصلاح بنذ النوى ، اعتقادا بصدق ذلك الكاتب في زعمه أن هذا يميئ الاسلام ويزيل هداية السنة والقرآن ! وان هذا هو الذي يرمي اليه زعماء اللامركزية ، بدعوتهم الى احياء الجنسية العربية . وسيعلم الظانون كذب ظنهم ، وان هذه الكتابة لا تخدع عامة العرب فضلا عن خاصتهم ، بل تكون سببا لقوة نهضة العرب ، واساءة الظن بمصادر هذه الخدع .

كنا عزمنا على ترك الكتابة في هذه المسائل ، ثم بدا لنا بعد هذه الخلابة والخدمة ، ان نبين للامة والتاريخ لباب الحقيقة ، وان ننشر نموذجا من كلام دعاة الجنسية التركية والعربية . لأجل المقارنة بينهما ، وليعرف اعتدال حزب اللامركزية

بين غلاتها ، ومنه يظهر ان تخصيصه باللوم والتعنيف ، ليس نصرا للدين الحنيف ، اذ الدين لا يحيا الا بحياة لغته ، وارتقاء أمته ، واننا نبدأ بنموذج من كتاب (قوم جديد) لأنه جاء الدعوة الى الجنسية التركية من طريق الدين ، بما فيه اكبر عبء للمعتبرين ، من التحريف والتبديل ، والتحريم والتحليل والتكفير بمحض الرأي والهوى ، وجعل الدين كله كالمحصور في بذل المال والنفس لحكومة الاستانة الاتحادية

نموذج من كتاب (قوم جديد)

(مترجم عن النسخة التركية المطبوعة في الاستانة)

جاء في الصفحة ١٤ من هذا الكتاب :

يجب تعطيل المساجد والتكايا الموجودة في الاستانة ماعدا الجوامع التي بناها السلاطين . وتخصيص نفقاتها الى الشؤون الحربية والعسكرية كما ورد في الآيات الكريمة والأعمال النبوية .

وفي الصفحة ١٥ :

ورد منذ مدة في احدى الجرائد السياسية انه من الضروري الاهتمام بتعليم تعلم اللغة العربية لتفهم الامة على الاقل الخطب التي تلقى ايام الجمع في المساجد . وهذا الكلام يدل على البلاهة اذ بدلا من تعلم جميع الاتراك اللغة العربية تلقى الخطبة باللغة التركية ، وهل هناك امر اسهل من هذا ؟ لاسيما وان ترجمة الحديث والخطب والقرآن جائز في مذهب الامام الاعظم (١) . ان النبي لم يبعث الى العرب فقط لذلك أصبحت ترجمة القرآن الى اللغات الاخرى فرضا من الفروض (٢) (وما ادسلناك الا رحمة للعالمين)

نعم ان القرآن الذي نزل على سيدنا محمد المأمور بدعوة العالم جميعا الى الاسلام نزل باللغة العربية واسكن لا يستدل من هذا ان كل قوم دعوا الى الاسلام يكونون مضطرين الى تعلم اللغة العربية

وفي الصفحة ٢٥

وهنا اكرر ما قلته آنفاً من أن أكثر الناس يستثنى منهم الفقير المعدم والاعرج والاعور ومنهم المشايخ الذين يدعون أنهم ورثة الانبياء والمدرسون والمفتون والقضاة

(١) كذب الكتاب في هذه الدعوى (٢) جل الكتاب الجاهل نفسه شارحا . وقد اتفق شيخ الاسلام في الاستانة بعدم جواز ترجمة القرآن

٥٤٠ الحكم برودة جميع المسلمين والتحكم في قبول اسلامهم (المنار-ج ٧ ص ١٧)

مشايخ الطورق والدرأويش والتجار والصناع، والحاصل جميع الناس أصبحوا في حكم القرآن المجيد مرتدين ومن زمرة المنافقين ومن ثم وجب قتلهم، لانهم تعمدوا ترك الجهاد بالمال والنفس الثابت بوجود آلاف من الآيات البينات (وأورد هنا اثنتين منها) الاولى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين... الخ) والثانية (فرح الخلفون... الخ) قال: ويتوقف تجديد ايمان هؤلاء اولاً على الاشتراك بدنا بالحرب وثانياً على اعطاء نصف ما يمتلكونه الى دار الخلافة الاسلامية اذا كانوا من اصحاب الفنى والاموال ليتسنى لرجال الاسلام الانتقام من الكفار الفجار، ونزع البلاد التي انتزعوها من ايديهم، واعادة ذكر كلمة «الله» في مساجدنا وجوامعنا، واذا لم يفعلوا هكذا (أي اذا لم يدفعوا نصف ما يمتلكونه للدولة) فلا يقبل منهم تجديد الايمان فيحشرون وهم مرتدون وكفرة، ويلحقون بأهل جهنم. وهذا لا بد منه ولو قرؤا في اليوم مئة الف مرة «آمنت بالله...» ولو صلوا الليل والنهار ولو كانوا من الذين صلوا وراء النبي، ولو حجوا الى بيت الله الحرام مئة الف مرة، ولو كانوا بدرجة الامام الاعظم من العلم او بدرجة الفوت عبد القادر السبكي من القطبية.

وفي (ص ٢٧)

ان بعض المشايخ والحفاظ والحجاج في الاستانة وكثيرين ممن يتبعونهم وكلهم من الذين يجرؤون على ارتكاب انواع المنكرات اشتغلوا بالكتب كالحبر التي تحمل التوراة فتركوا الجهاد، والبعض منهم فسروا الآيات والاحاديث حسب ما تقتضيه منافهم، وللحصول على غرض دنيوي. فلعنة الله على أمثال هؤلاء الحفاظ الذين يقرؤون القرآن بالدرهم وعلى المنافقين الذين تسلطوا بالاشتراك مع اعداء الدين على فرقة الاتحاد والترقي التي هي في الحقيقة الفرقة المحاربة والساعية لأتحاد الاسلام، والمجاهدة في سبيل تشييد قوى الاسلام، وبالنتيجة لعنة الله على الذين كانوا سبباً لدوس الملايين من المسلمين تحت اقدام اعداء الاسلام، وعلى اولئك الذين سلكوا طرق الدسائس والتفيل والتزوير لئلا يكتفوا بريدون ان يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لعنة الله عليهم وعلى آلهم واقوالهم وعلى تأليفاتهم ومصنفاتهم واعتقاداتهم أجمعين

وفي (ص ٣١) يفسر آية (فرح الخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله) بما يأتي : ان الذين ثبتوا في الصوم والصلاة والحج اعرضوا اليوم عن الجهاد المفروض مالا وبدنا وأصبحوا خلاف رسول الله فهؤلاء من المنافقين

(المنار-ج ١٧م٧) تكفير مسلمي مهر والهند والمغرب والحجاز وغيرهم ٥٤٩

ان البروغرام القديم البالي الفاسد يعرف به بقاء الدين بالصوم والصلاة والحج .
والحقيقة ليست كذلك بل هو حسب البروغرام الجديد بالجهاد مالا وبدناً . وهذا
ثابت ايضاً بهذه الآية : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ...) فيفهم من هذه
الآية صراحة ان المسلمين الموجودين تحت حماية ملوك النصارى ليسوا مسلمين بحق
لان ملوكهم النصارى راضون عنهم ويضمونهم في صف اممهم ، على ان الملل النصرانية
لا ترضى عنهم الا بعد ان يرددوا الى دينهم الباطل .

وفي (ص ٣٢)

اذا رضي الكافر يفضب الرحمن ، وكذلك اذا غضب الرحمن رضي الكافر .
يعني اذا رضي كافر تمام الرضا عن مسلم فهذا المسلم يكون على كل حال موضوع قهر
الرحمن وغضبه مثل المسلمين الساكنين في البلاد المسيحية . وبالعكس كل كافر يفاضب
ويماذي مسلماً يكون موضوع رضاء الرحمن ووجه مثل خلفاء المسلمين من الأتراك .

وفي (ص ٣٣)

يفسر هذه الآية (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) بما يأتي :
فيفهم من هذه الآية الجلية ان دين المسلمين الموجودين تحت التبعية أو الحماية
الروسية والانكليزية والفرنسية لا يتم ولا يعدون من المسلمين ماداموا لا يشتركون
في الجهاد المفروض وما داموا محرومين من اعانة الاسلحة مالا وبدناً .

وفي (ص ٣٦)

ان من لا يشترك من رعايا الدولة الاسلامية العثمانية الثابتة خلافتها بالنص القاطم (١)
من العرب أو التتار أو الألبان أو أبناء مكة واليمن ، والحاصل جميع الأقسام المختلفة
اذا لم يشتركوا مالا وبدناً ونقداً بالجهاد الذي هو أعظم العبادات في صفوف حضرات
عبد الرحيم وجمال ورضا وشكري وبكرو جاويد ورؤف وانور وعزت وطلعت وأمناهم
من أبناء الترك الذين هم أولياء الله صلى الله تعالى عليهم وعلى آلهم وأصحابهم وقدم
الله أسرارهم ، يكونون في صف المرتدين عن الدين والمعتنقين طوعاً لدين الصليب
الباطل . ومن هذا القبيل الأرفاؤد ، فانهم ارتدوا عن الاسلام - إما لاستعمالهم السلاح
ضد الجنود الاسلامية مشتركين مع الكفار الفجار في ذلك ، أو لإضعاف قوة الجيش
الاسلامي بفرارهم من ساحات القتال ، فسيبوا بذلك انهم الاسلام وأصبحوا من
الكفرة الفجرة ، ومن هذا القبيل أيضاً المصريون والهنود والبخاريون والتتار

(١) مذهب اهل السنة ان خلافة الراشدين لم تثبت بالنص بل باجتهد الصحابة

٥٤٢ اصول دين النشء الجديد (المنار - ج ٧ ص ١٧٢)

الروسيون وسكان فاس وتونس والجزائر وأهل الحجاز واليمن فانهم لم يمدوا الخلافة الإسلامية بالتقد، ولم يكتف قسم من العثمانيين الاثراك بذلك بل انهم اتفقوا مع قوزميدي وبوشو والبطركفانه الرومية واعانوا دين الصليب، واعلنوا العصيان سماً وطوعاً على الاسلام، واقاموا الدنيا على أهل الايمان .

وفي (ص ٣٩)

ان القوم العتيق (أي القدماء الذين لا يتبعون كتابه هذا) يتركون الاوامر الالهية الاصلية التي تمد بالآلوف ونمسون بالصوم والصلاة والحج والزكاة وكلمة الشهادة فقط، ويخذون كتب البركوي والحلي والشافعي والكنز ومنية المصلي والمالكي والحنبلي دستور العمل في أعمالهم وحركاتهم، مع ان هذه الكتب مملوءة بالاتفاق والشفاق والمنافرة (كذا) والاختلافات الكثيرة، فالعمل بما فيها غير جائز

وفي (ص ٥٢)

أما القوم الجديد (ويريد بهم من مدحهم في كتابه من الترك الاتحاديين ومن يسير على طريقهم وطريقه) فانهم لا يبالون بمثل هذه الحرافات القديمة بل انهم استخرجوا من الاحكام القرآنية والحديثية الاركان الدينية الآتية : (١)

- ١ - العقل
- ٢ - كلمة الشهادة
- ٣ - الاخلاق الحسنة
- ٤ - الجهاد مالا وبدناً والحرب .
- ٥ - السعي لاعداد لوازم الحرب بالاتحاد والاتفاق تحت راية الخلافة المعظمة العثمانية .

وفي (ص ٥٦ - ٥٧)

يجب ان تقرأ الخطب أيام الجمع والاعياد باللغة التركية ثم تقرر خطبة كل جمعة بتلقين من الحكومة تتضمن الاحوال السياسية . ويجب أيضاً ان تفضل الامور السياسية في بعض الاحوال على الامور الشرعية حتى ولو لم تكن منطبقة على الاحكام الشرعية !! فتعطل مؤقتاً الامور الشرعية . ويوجد جواز شرعي للعمل هكذا بدليل وضع النبي توقيعاً على عهدة الصلح في وقعة الحديبية مجرداً من ألقاب ونعوت النبوة حسب طلب

(١) اي ليس في دين (القوم الجديد) صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج فهم لا يمتثلون الى المسلمين لاكل اموالهم ومشاركتهم في حقوقهم الا بعدم انكار الشهادتين . وعلى هذا كثير من ملاحدة مصر ومنافقيه كما قال المؤلف

كفار قريش ، وكما تقتضيه الاحوال ويوجه الزمان . وكذلك الآيات الناسخة والمنسوخة هي من مقتضيات السياسة .

(وفي ص ٦٠)

وعليه فان الهنود الذين هم تحت حماية النصارى من الانكليز لو كانوا من اصحاب الاخلاق الحسنة فانهم لاريب محرومون من العقل ولو كانوا عقلاء لما رضوا بالذلة تحت حكم دولة ظالمة شريرة تسلك دين الصليب

(وفي ص ٦٣)

وبهذه الصورة سيخرج المسلمون المحكومون بالنصارى من دينهم بالتدريج ويندعجون بدين حكامهم . وسبب ذلك عدم ارتباط هؤلاء المسلمين مالا وبدنا بالخلافة الاسلامية

(وفي ص ٧٠ - ٧١)

كثير من المسلمين حتى من علمائهم ومشايخهم اثبتوا في الحرب البلقانية الحاضرة انهم ارتدوا عن دينهم لانهم اثتلقوا { عبر بلفظ الائتلاف في الاصل } مع البطريركخانة لاجل الدراهم والمنافع ، ومن هذا القليل أيضاً الضباط والجنود والمصممون الذين فروا من ساحات القتال ، فهؤلاء ليسوا مسلمين بل هم منافقون ومرتدون عن دينهم . أما المسلمون الحقيقيون فهم الذين حاربوا في حرب طرابلس الغرب وحرب البلقان تحت امرة انور ورضا واسعد وجاويد ورؤف صلى الله تعالى عليهم ، وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة ، الذين لم يولوا ظهورهم الى العدو بل داوموا في جهادهم في سبيل الله ، فهؤلاء هم المسلمون الحقيقيون . وقد كان عدد الذين ينتمون الى جمعية الاتحاد والترقي في هذه الحرب لا يتجاوز مئة الف . اما الباقيون فانهم كانوا من المرتدين المتبين الى الائتلاف (أي حزب الائتلاف) والبطريركخانات .

وفي ص ٧٦

يفسر آية (انا انا بشر مثلكم) - الحرب بينا وبينهم سجال يغالون منا وتال منهم - أفئن مات ٠٠٠٠ ألع فيقول : انا بشر مثلكم فلا تستبعدوا موتي ، ان الانتصار في الحرب يتوقف على التجهيزات العسكرية ٠٠٠٠

وفي ص ٨٩

ما هذا الجهل ؟ وما هذه الغفلة التي استولت عليكم ايها الناس ؟ تعلقون اسماء

٥٤٤ دعوة الترك الى رفع ساستهم على أئمة الدين من العرب (المنار-ج ٧ ص ١٧)

خلفاء العرب على جدران جوامعكم (١) وتتركون اسماء خلفاء الترك الذين قدسهم الاحاديث النبوية ولا تكتفون بذلك بل ينزل الخطيب قدمه واحدة عند ما يذكر اسماء الخلفاء الترك تنزيلا لمقامهم وتنزيلا لم تزدون ركعتين يوم الجمعة باسم « آخر ظهر » فكل هذا مبتدع ومحدث للحط بشأنكم سياسة .

انكم ايها الاتراك قوم مقدسون ومبجلون ومع ذلك قدسون عبد القادر الكيلاني والشيخ البدوي والشيخ الفلاني وتدعون ان الله وملائكته حتى الموكلين منهم بعذاب القبر مفكر ونكير يتكلمون باللغة العربية وقه لون دائما « أوله شام وآخره شام » وتسعون دائما لتفجيل ابناء الترك بأنه سيخرج من العرب مهدي . والحاصل تشتغلون منذ سبعمائة سنة بمثل هذه الحرافات ، فتشوش العالم وتحتقرون بذلك ابناء العثمانية العجباء الذين ما فتوا يجاهدون في سبيل الله للدفاع عن الاسلام ويدفعون عنه تعرض الكفار الفجار له ، فكل ما ذكرته موضوع بصورة خصوصية ومقصود بالذات لتحقيركم والحط من منزلتكم

أما سمعتم الآية (والعاديات ضيحا) فان الله قدس بهذه الآية الجيوش التركية نخيل هذه الجيوش هي اشرف واقدس اضااف مضاعفة من شرافة وقدااسة رؤساء واشراف الشعوب الاخرى الذين قدسونهم ونحرمونهم . (٢)

(المنار) هذا نموذج من كتاب (قوم جديد) الذي صنف لاقناع الترك بما يجب ان يكونوا عليه في هذا العصر . ولا شك في كون جميع علماء الدين من الترك كغيرهم ينكرون هذه الضلالات المودعة في هذا الكتاب ويعلمون ان هذه الجرأة على تحريف القرآن واتخاذ الاسلام هزوا ولما ، وهدم اركانه ، وتكفير اهله ، والكذب على الله ، رسوله ، المراد به تقوية الجنسية التركية - كله كفر وضلال . ولكن الملاحظة الذين ليس لهم من الاسلام الا اللقب الرسمي او الجغرافي برضون بهذا وينشون به جهالة العامة من الترك فما للمنكر على حزب اللامر كزية تقوية الجنسية العربية باسم الاسلام ، لا يؤلف كتابا في الرد على هؤلاء الثلاثة المحرفين للقرآن . الهادمين للاسلام؟؟

(١) جرت عادة اخواننا الترك بأن يلقوا في قبا بمساجدهم الواحا فيها اسماء الخلفاء الاربعة (رض) وسبطي الرسول (ص) (٢) اي كالحلفاء الراشدين وأئمة آل البيت الطاهرين عند العرب

* نموذج من إنشاء طلبة دار الدعوة والارشاد *

اقترحنا الموضوع الآتي على طلبة السنة الأولى لاختبار انشائهم وآرائهم في هذه المسألة ، فاخترنا ان ننشر ما كتبه بعضهم كما كتبوه مع تصحيح بعض الغلط في الهامش ، وهو :

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب يس ابراهيم

لم ير التاريخ من لدن آدم الى ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالا سلام في معاملته وعدله ، ولم ينقل الينا أثر يدل على أن الاسلام عامل مخالفه بالقسوة ؛ بل تواترت الآثار والشواهد الدالة على عدله ، وانه ماجاء الالهادية البشرى فيه صلاحهم في الحال وصلاحهم في المال ، وأنه رحمة للناس كافة (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وإن اهم ما يستشرف منه على عدل الاسلام في معاشره مخالفه النظر في نصوص الدين ، فانه الميزان الذي يبين العدل من الجور ويفصل بين الضغط والحرية ؛ تأمل تر أن الاسلام قد بلغ حدا من القوة لا يقاومه صاد ، ولا يحركه مزحزح ، ومع ذلك ينادي الاسلام (لا اكراه في الدين)

فلوان الاسلام فيه شائبة من ظلم لحمل الناس على الدخول فيه كرها أيام استكمال القوة في عزه وشبابه ، كما يفعل اهل الأديان الأخرى في العصر الحاضر والقرون الخالية ، على ان السابقين معذورون ، فانهم ما وصلوا الى درجة من العلم والحضارة تحمّلهم على الالتجاء الى العدل ، بخلاف اهل هذا الجيل فلا عذر لهم مع صياحهم بصوت العدل ، ولا يخفى على احد ما يفعلونه بالناس من حملهم على دينهم وسلب اموالهم وجعلهم خدما وعبيدا ، إما بالظلم البين ، او الجور المستتر ؛ وهو ما يسميه الاستاذ بالسياسة اللينة . فوركبك أما تشعر الآن بأن الاسلام دين الرحمة والعدالة في القرون المظلمة خير من جميع الاديان وقوانين السياسة في عصر العلم والحضارة ؟

ان الاسلام لم يضغط على معاشريه ، ولم يحملهم على المعاملة بأحكامه ، بل جعل

لهم الحرية التامة في وضع احكامهم، وجعل عقوبة لمن يتعرض لهم بالاذى من المسلمين، هكذا كان الاسلام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وايام الخلفاء بعده. وما يروى أن يهوديا جاء الى سيدنا عمر بن الخطاب شاكيا سيدنا عليا رضي الله عنهما من اجل دين ادعاه عليه ولما كان الخليفة يحكم بينهما رأى ان امير^(١) جالسا قال « قم فساو خصمك » فيا لله ما هذا العدل والانصاف بين يهودي ومسلم لدى امير المسلمين؟

مانشأ هذا العدل الامن نور الاسلام وسماحته. ولا يتوهمن أحد ان القتال الذي وقع بين المسلمين ومعاشرهم ومن ساعدهم ينافي العدل ما دام يعلم ان الذنب على المعتدي، وان البادئ اظلم، فمعلوم ان المسلمين ما آذوا أحدا ولم يكن غرضهم الا ايصال هذا النور الى القلوب، وكل ما وقع منهم انما هو دفاع عن انفسهم بأمر من الله تعالى بعد التعدي عليهم (فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين، فان انتهوا فان الله غفور رحيم)

وان الاسلام لم ينه معتقيه عن موالاته من خالفهم، ولم يمنعهم من مواساتهم الا اذا كانوا يقاتلونهم ويعادونهم، والقرآن اعظم دليل على ذلك (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرؤهم وتسخطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الفاسقون) اترك بعد سماع هذه الآيات تشعر بان الاسلام ليس دين العدل والرحمة اذا ازلت عن بصرك عشاء العصبية؟

فلو نظرت نظرة الانصاف ما وسعتك الا التسليم بان آداب الاسلام في معاشره المخالفين احسن الآداب، وكم عفا صلى الله عليه وسلم عن مذهب واحسن الى مسيء؟ وان التاريخ يدلنا على انه كان يتحمل اذى الاعداء، ودائما يتبع أثر السلم ولو بالحكم الشاق، ألا تراه مع كثرة تطلعه الى مكة، وشدة شوقه الى الكعبة، وحنينه الى حجر أبيه ابراهيم، كيف قبل ان يرجع، مع وفرة القوة وامكان الوصول، وقساوة الشروط، التي منها أنه اذا ارتد احد من شيعته يقبلونه، واذا اسلم أحد منهم

(١) هذا غلط والمراد انه رأى عليا كرم الله وجهه

لا يقبله - على ما يقول التاريخ - وقد ترك زيارة البيت في هذا العام ^(١). هكذا كان الاسلام ولم يزل في تسامحه وعدله بين أهليه ومعاشره .

ومن أدب الاسلام انه لم يسمح للمؤمنين أن يساعدوا الذين آمنوا ولم يهاجروا على من كان بينهم وبينهم ميثاق ^(٢) (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق، والله بما تعملون بصير)

ولعمري ما انتشر الاسلام على ما ترى الا بحسن آدابه وعدله في المعاملة. فان العدل يجمع القلوب، وبالأداب الحسنة تملك الازمة، ولا رأي للقائلين بالضغط والغلظة. واتقول الفصل في هذا قول الله تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك) فان الله تعالى اعلم بقلوب عباده، خير بما يوحدهم ويجمع كلمتهم، وقد انزل القرآن وضمنه ما يكفل ذلك ان قام به اهله . ولو تصفحت القرآن آية آية لا تجده يأمر بالغلظة على من التزم حده. وانما قل (ادفع بالتي هي احسن) وقل (فبما رحمة من الله لنت لهم) الخ

وقد اجمع عقلاء الاجتماع ^(٣) على ان اللين خير من الشدة مهما كانت القوة، وانه ما أثر هذا التأثير رجل واحد الا باعطاء الحرية وانتشار العدل ومخاطبته العقول، ويخيل لي بل ربما كان اقرب الى الحقيقة ان الذي يحتاج الى استعمال الشدة والقوة والغلظة هو من يدعو الى شيء باطل، فان العقول بطبعها تفرغه، فان اخذ اصحاب الباطل وسائل القسوة والضغط ربما امكن ان يخضعوا بعض الناس في الظاهر زمنا ما، ولا يلبث ان يحصل رد الفعل ويرجع الناس الى فطرتهم، وان الاسلام ما جاء بشيء يناقض الفطرة فكان مقبولا بمجرد وصوله الى الآذان الصاغية. ولذلك قال الله تعالى (ان عليك الا البلاغ) فلو ان المسلمين قاوا بما اوجب الله عليهم وبلغوا هذا الدين الى الناس كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح وتدبره الناس لدخلوا في دين الله افواجا ما

(١) المنار: يشير الكاتب الى صلح الحديبية ولكنه قصر في البيان واختار الاختصار الخلل (٢) أي من المشركين (٣) الظاهر انه كان يريد ان يقول « علماء الاجتماع » فسبق القلم

آداب الاسلام في معاشره المحالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب محي الدين رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك ربي ما احكمك ، واحكم شرعك ونبيك ، لقد صبيت الآداب والفضائل كلها في كتابك الحكيم ، واجريتها على لسان خاتم المرسلين ، فبأي لسان نحمدك ونمجده ؟ وبأي عمل نشكرك على آلائك واحساناتك ؟ فشكرا لك من عبد ضعيف ، وصلاة وسلاما على نبيك الأمين .

الاسلام وما ادراك ما الاسلام ؟ الاسلام هو ذلك الدين الذي سوى بين الامير والحقير (بل لا حقير عنده) أما بلغك خبر الأمير العادل «عمر بن الخطاب» مع ذلك الأمير الفسائي جبلة بن الأيهم الذي وطئ الأعرابي وصفه (١) على قفاه ؟ هل قبل منه عمر أن يجعل بينهما درجات متفاوتات ؟ كلا ! ثم كلا ! ولذلك فر الفسائي هاربا الى القسطنطينية ولا تسأل عما حل به من الندم بعد ذلك ، فشعره يشهد على ندمه العظيم هذا ما كان من عمر في قضية الأمير الفسائي والصعلوك العربي ، وانظر الى ما كان منه مع ابن عمرو بن العاص حينما ساط القبطي الذي سبقه (ولا تنس فضل ابيه الفاتح وانه كان صغير السن قد يهفو) فقد كتب الى ابيه : يا عمرو منذكم استعبدتم (٢) الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا ؟

ما هذا بعدل انسان ، انما هو من هدى القرآن ، نعم هذا هو سبيل الاسلام وأمرائه ، وليس بعجيب ان قلنا ان التاريخ لم ير أعدل منه . ولعلك تتذكر أن عليا (وهو صهر الرسول وابن عمه) تحاكم مع يهودي امام قاض مسلم (٣) فكناه القاضي ونادى الآخر يا يهودي ! فغضب علي من القاضي وقال له : ما كان لك ان

(١) الصواب : وطئ الأعرابي ذيله فصصفه الخ (٢) الرواية المشهورة « منذكم تعبدتم الناس » الخ وان عمر استقدم عمرا مع ولده الى المدينة وأمر القبطي ان يضرب ابنه كما ضربه وقال له « اضرب ابن الأكرمين » اذ كان ابن عمرو لما ضرب القبطي يقول : انا ابن الأكرمين . (٣) انما تحاكم الى عمر بن الخطاب مخاطب عمر اليهودي باسمه ، لا بنسبته الى قومه

(المنار-ج ٧م ١٧) قصة اليهودي الذي جذب النبي واغلاظ له ٥٤٩

تفعل هذا في موقف القضاء بل كان يجب أن تسميني وتسميه .
خير الأمور التسامح في محله وقد جرت الشريعة الإسلامية على هذه الفضيلة
وحثت عليها في مواضع شتى . وكم من موقف لأمراء الإسلام وعلمائه اسرع التاريخ
اليه فاقنته وحلى به جيده العاقل ، فالشريعة تنادي اهلها أن : خالقوا الناس
بخلق حسن . (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) « من غشنا فليس منا »
(يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام
لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة، كذلك كنتم من قبل »
الآية . (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى) . (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) .

ولو أردنا تتبع ما ورد في الشريعة من الآي والحكم الواردة بخصوص المخالفين
لنا فقط لما أمكننا في هذا الموقع ، غير اننا نعلم بالجملة من تاريخ السلف الصالح وما
اقتبسناه وأرشدنا الى تدبره من قرآن وحديث ، أن الدين الإسلامي خير دين
قد أخرج للناس يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحترم المصالح العامة والمصلحة،
ولا يأمر الا بكل خير وصالح لمعتقيه والمستظلين برايته البيضاء، حتى يجعل الجميع
في هناء ، يرفلون في حل السعادة وطيب العيشة الراضية :

لا تظن ان الاسلام احتقر اهل الذمة واهتضم حقوقهم . كلا ! بل هو مع ذلك
لم يرغمهم على الدين به وهو خير دين (لا اكره في الدين) فالدين قد جعل لهم
أحكاما ترضيهم، فعند ذلك الفقهاء الابواب والفصول ، وكلها مستمدة من الدين
القويم، فقد جعلهم احرارا ، واي حرية اكبر من حرية ذلك اليهودي الذي اخذ
بتلايب النبي صلى الله عليه وسلم يجذبه اليه ويصيح به . فهم عمر باستلال السيف
فناداه النبي : دعه فانه له حقا (١)

(١) الرواية ان اليهودي اراد اختبار خلق النبي (ص) فاشترى منه تمرا الى
اجل واعطاه الثمن وجاء يطالبه بالتمر قبل الاجل بيومين ، فاخذ بمجامع قميصه
ورداؤه ونظر اليه بوجه غليظ وقال : الا تقضيني يا محمد حتي ؟ فوالله انكم يا بني عبد
المطلب مطل . فوبخه وهدده عمر فقال له النبي (ص) بهدوء « اما وهو كنا =

هذه الواقعة التي وقعت من أبي المسلمين محمد (ص) تعطينا درساً اجتماعياً كبيراً الأهمية عظيم المنفعة ، وتعظم منزلة الدين في نفوسنا ، ولعلنا نقوم فنحيا كي سلفنا الصالح ونسير على نهجه اقويم فنمود أمة حية ، وليس بعجيب على التاريخ أن يعيد نفسه ؛ ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لهذا بدون إثارة الغبار على من خلفنا ، كما نسأله أن يهدي مخالفينا ويجعلنا أمة صالحة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعايشتهم

إنشاء الطالب عبد الرحمن عاصم

اقتضت حكمة الله تعالى بأن يرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، بدين الفطرة السليمة والعقل الصحيح ، ليكون الناس أمة واحدة يجمعهم جامعة الدين على كلمة الاخلاص لله وحده ، والشهادة لنبيه محمد (ص) بالرسالة ، فجاء صلى الله عليه وسلم مبشراً ونذيراً ، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، جاء كما قال (ص) ليتم مكارم الاخلاق ، جاء بالآداب السامية والاخلاق الشريفة ، من بعد ما اعد الله تعالى لقبولها نفوساً زكية وأرواحاً طاهرة ، فتقبلتها بقبول حسن ، وأثبتت نباتاً حسناً ، فكان الناس يدخلون في دين الله افواجا ، لما يرون من السعادة في لباسها . وقد سمعت عن كاتب فرنسي ترجم رواية عربية وكتب لها مقدمة قال فيها ما معناه — إن من سوء حظ فرنسا أن صادمت العرب [ويريد المسلمين] . ومنعتهم من استثمار بلادها ، لأنها لو تركتهم يعمرون البلاد لسبقت فرنسا الأمم الى المدنية والحضارة بسنين عديدة ^(١) هذي شهادة رجل بعيد عن الآداب الاسلامية — والفضل ماشهدت به الاعتداء — ^(٢) يقول الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون

= احوج الى غير هذا منك يا عمر : تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التقاضي ، اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعاً مكان ما رعته » فأسلم اليهودي لذلك . رواه الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي . (١) الصواب لسبقت الامم الاوربية بعدة قرون . والرواية التي اشار اليها هي رواية العباسية أخت الرشيد لجرجي بك زيدان (٢) إيراد هذا المثل عننا حجة على الكاتب

عن المنكر) وبين طريقة الدعوة واسلوبها بقوله سبحانه (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) فبهذه الآية أمرنا الله تعالى بأن ندعو ونخاطب مخالفينا ومعاندينا باللين واللفظ، ونحاجهم بالتي هي احسن، حتى نستميلهم الى الاسلام ليكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

والآثار التاريخية التي تدل على تسامح المسلمين مع مخالفيهم كثيرة منها أن يهوديا لقي النبي (ص) وطالبه بدين له ثم امسك بثوبه وهزه ، وصفح عنه الرسول (ص) الصفح الجميل . ومن آداب الاسلام في معاملة المخالفين أن الرسول (ص) كان غانما في غزوة من غزواته نعماء كثيرة وجاءه احد كبار المشركين وراها ترعى فأعجب بها فوهبه اياها الرسول (ص) فأسلم المشرك لما رأى من سماحة النبي (ص) وكرم اخلاقه . ومن آداب الاسلام في معايشة المخالفين أن ابن فاتح مصر كان يتسابق مع المتسابقين فسبقه قبضي فأخذته العزة فلطمه ، ووصل الخبر لصاحب العدل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني، فكتب الى ابن العاص يعاتبه على هذا ويزجره قال (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد وضعتم أمهاتهم احرازا)^(١) ومن ذلك ما يحكى عن جبلة بن الايهم أنه كان يطوف في البيت مسبلا إزاره ومر به فزاري فوطئ الأزار فسقط عن منكبي جبلة فلطمه جبلة لطمه فشكا الفزاري جبلة لسيدنا عمر (رض) فأمر عمر بأخذ حق الفزاري من جبلة - وكان من كبار العرب - فقال جبلة يا عمر أتساويني بهذا الرجل وأنا ابن الايهم؟ فقال عمر (رض) الاسلام قد ساوى بينكما . الخ

ومن آداب الاسلام التسوية في الحقوق بين الناس . ومن ذلك ما روي في رسالة سيدنا عمر بن الخطاب الى عبد الله بن قيس في القضاء^(٢) (سو بين الناس في عدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك) هذا وان من ينظر في جميع الأديان التي عليها الناس فلا يجد ديناً كالدين الاسلامي في آدابه في معايشة المخالفين ومعاملتهم . فقد روي عن نبي الرحمة محمد (ص) انه

(١) بينا الصواب من الرواية في هامش النبذة التي قبل هذه (٢) كتاب عمر في القضاء هذا كتبه الى ابي موسى الاشعري (رض)

قال في الذميين ما معناه (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ^(١) وقد عرفنا التاريخ ذلك فانهم بقوا في أوطانهم يقيمون شعائر دينهم آمنين على انفسهم متمتعين بالرفاهية والنعيم . كل ما أتيت به من حسن معاشرة المسلمين للمخالفين ومن المساهلة في معاملتهم انما هو أثر من آثار الدين الاسلامي الذي جاء به محمد (ص) نورا وهدى ومزكيا ، جاء الناس بسلام من عند ربهم ليكونوا به آمنين ، جاء مسهلا لا معسرا ، مبشرا لا منفرا ، ليجمع الناس على صفاء واخلاص يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه ، بل (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)

اذا تبين لنا ما جاء به الاسلام من حسن المعاشرة ، واللين في المعاملة ، فلا يضربنا قول جاحد ، ولا يهمننا صوت مفسد ، اذ ليس من كل الاصوات تجب الهية . بل تقول لأولئك المنكرين لهذه الفضائل (لكم دينكم ولي دين) كيف طوؤا للناس يقولون على دين الله ما لا يعلمون ، ويزعمون أن الاسلام شديد في معاملاته ، والله يقول (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم الله لعلكم تذكرون)

آداب الاسلام في معاشرة المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب عبد العزيز العتيقي

الدين الاسلامي دين الرحمة والعدل ، دين الحكمة والعقل ، دين الاحسان والفضل ، دين يأمر بالاحسان لجميع البشر ، دين يأمر بالرفقة بالحيوان فضلا عن الانسان ، يظهر ذلك في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله ، وما جرى عليه اخلفاء الراشدون وجميع السلف الصالح من بعده

أجل نظرة في سيرته الطاهرة تجدها حافلة بالمواعظ مشحونة بالوصايا بالحث على الاحسان لجميع الخلق كقوله (ص) « اخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله » وقوله « في كل ذي كبد حري صدقه » ^(٢) « ما هذه الرحمة والحنان ! ماهذه الشفقة

(١) الحديث ورد في المهاجرين ، واستعمل العلماء العبارة في حقوق الذميين

(٢) الحديث « في كل ذات كبد حري اجر »

(المنار - ج ٧ م ١٧) عمل النبي ونصوص القرآن في معاملة المخالف ٥٥٣

والاحسان اما هذه الرأفة التي لم تقصر على بني البشر بل عمت كل من اتصف بالحياة .
الله اكبر ان دين محمد وكتابه أقوى واقوم قِلا
لاتذكر الكتب السماوية^(١) عنده طلع الصباح فأطفئ القنديلا
أدر بصرك في أفعاله (ص) تجد انه كان يقابل السيئة بالحسنة . اضرب لك
مثالا صغيرا تقيس عليه ما لم تعلم . كان احد اليهود يؤذيه (ص) ويضع الاقدار
في طريقه اذا خرج الى المصلى ، فلما مرض ذلك اليهودي فقده (ص) بفقد ما كان
يضع فسأل عنه (ص) فقيل انه مريض فذهب (ص) لزيارته . فلما رأى ذلك اليهودي
فعله وحفاوته به مع علمه انه يعلم ما كان يصنع في اذيه ، قال اشهد ان لا آله الا الله ،
وان محمدا عبده ورسوله . فيا حبذا لو جرى المسلمون على هذه القاعدة في معاملة
مخالفينهم في الدين ، اخوانهم في الوطن والبشرية . فوالله لو جروا على هذه القاعدة
لدخل الناس في دينهم افواجا .

من راجع القرآن الشريف وجد نصوصه الكريمة في كيفية الدعوة تدور على
محور الحكمة والعقل والاحسان والفضل . قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) وامتن تعالى على نبيه (ص) بقوله (فبما
رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقال تعالى
(لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال (ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن)

نرجع الى النظر فيما جرى عليه السلف الصالح في ذلك اي في معاملة مخالفينهم
في الدين ، نجد أنهم جعلوا لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، لا فرق بين المسلم وغيره في
الحقوق . انظر الى ما قاله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لعمر بن العاص فاتح مصر
حينما تسابق ابنه مع ابن القبطي فسبقه فلطمه ابن عمرو واقتخر عليه بآبائه ، فلما بلغ
ذلك عمر رضي الله عنه ارسل اليه يهدده ويقول له : «متى استعبدتم الناس يا عمرو وقد
ولدتهم أمهاتهم احرارا» وحكم عليه بان يرضي القبطي او يقتص منه^(٢) . وقصة اليهودية

(١) الصواب : السوائف (٢) تقدم الصواب في الرواية

(المنار - ج ٧) (٧٠) (المجلد السابع عشر)

٥٥٤ هدي الاسلام في معاشره المخالفين في الدين وغيره (المنار - ج ٧ م ١٧)

صاحبة البيت الذي كان في المسجد مشهورة، بل نرى من تسامحهم انهم قد أرقوهم (؟) الى اعلى المراتب فأتخذوا منهم الكتاب وغيرهم، وقد اتخذ الحرس في المدينة المنورة في يوم من الايام من النصارى . ومن راجع تاريخ الدولة العباسية في عنفوان التمدن الاسلامي رأى أن للذميين من ذلك حظا وافرا، فقد أرقوهم (؟) الى اعلى المناصب فصار منهم الاطباء والندماء للملوك وغيرهم. هذه المعاملة تمثل لنا عدالة الدين الاسلامي وتسامحه وآدابه الراقية

فعلى رجال الدعوة والارشاد الذين قد اخذوا على عواتقهم هذه الامانة وعاهدوا الله عليها - وهي ارشاد المسلمين الى اواصر دينهم ودعوة غيرهم اليه - أن يظهروه في ثوبه الحقيقي ، وان يجعلوا نصوص الكتاب والسنة وأعمال النبي « ص » والسلف الصالح امام اعينهم ليسيروا عليها ، وليفطنوا لمقاصد الدين التي جاء اليها ، وهي اصلاح نفوس البشر وتحليتها بالفضائل ، وتطهيرها من الرذائل ؛ لتكون اهلا لجوار الله تعالى في الآخرة ، واصلاح حال المجتمع الانساني في هذه الدار التي قدر له ان يعيش فيها برهة من الزمن . وليعلموا الناس أن الله قد جعلهم شعوبا وقبائل للتعارف والتعاون (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقوله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وان الله غني عن العالمين .

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملاتهم

انشاء الطالب محمد أبو زيد

قال الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبوهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) من فقه حكمة الاسلام ووقف على مقاصده وما يرمي اليه، عرف أن المراد منه اتمام الفطرة البشرية بما يصلح به شأن الانسان في حياته الاولى ، وينال به الرضوان الاكبر في حياته الأخرى (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

ولما كان حسن المعاشرة والمعاملة من اعظم ما يكون في النفس الملكات الفاضلة ، ويقوي الصلة بين الافراد والامم، كان مما امتاز به ذلك الدين العناية بشأنها ، والحث عليها ، غير ناظر الى ما يكون عليه المعاشراو المعامل من المخالفة - وليست المخالفة قاصرة على الدينية فقط بل يدخل فيها الجنسية واللغوية وغيرها

ولقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فلم يتجاوز امر ربه في دعوة مخالفتي دينه بالحكمة والموعظة الحسنة (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) حتى كان من تمام رفته في مخاطبته ما حكاه عنه ربه (وانا اياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين) ولم يترك التلطف في معاملاتهم حتى جعل لمن دخل في حوزته واطمان من جهته الامان من كل ما يشينه، وحافظ على حقوقه كما يحافظ على جميع المسلمين . وسار من بعده من اهل العدل على قوله (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) حتى لقد شغل كثير منهم مراكر في الحكومات الاسلامية المتقدمة وغير ذلك مما يشهد به التاريخ

هذا وان الاسلام بريء مما يرميه به اعداؤه من التعصبات الدينية - على زعمهم - نظرا لما قرره في أصوله المبنية على الدليل والبرهان « قد تبين الرشد من الغي » كما وانه (؟) قد قضى على الجنسيات والامتيازات بغير ما فيه التقى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) فما اعظمه من دين سوى بين الطبقات بعده ، فاقهذ الناس من العبودية القديمة ، وما اعرفه بحقوق الانسان ! قرر التفضيلة برتبتها - العدل والاحسان - فقبضى له بالاولى ليكون مرفوع الرأس آمنا من الذل (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وخيره في الثانية ليدوق حلاوة فضله ويشعر بلذة احسانه (فمن عفا واصلح فاجره على الله)

فوالله ما وجد للبشر دين أرحم على الانسان منه ، ولا عرف ضمير المخالفين معاملة أوفى من معاملته ، دين يقول كتابه (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) جدير بان يسود بمتبعيه

دين يقول نبيه « سلم على من عرفت ومن لم تعرف » « خالق الناس بخلق حسن » حقيق بان يسعد من دخل في حظيره . دين يقول كتابه (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ويقول نبيه « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » لا يسع كل مجرد عن الاغراض بعيد عن الهوى الا ان يقر بفضله ، ويخر ساجدا لآياته

دين قد شهد لنفسه بما أحدثه في العصور الخالية من الانقلاب المدهش، واقر له اعداؤه - والفضل ما شهدت به الاعداء - بان التاريخ لم يراكثر عدلا ولا احسن معاملة من اهله ، لاشك في تسامحه ، ولا ريب في كونه دين الاصلاح العام لجميع البشر

٥٥٦ الشيخ حسن المدور والشيخ محيي الدين الخياط (المنار- ج ٧ م ١٧)

مصাব مصر والشام . برجال العلم وحمله الاقلام

٢ - الشيخ حسن المدور

هو من بيت معروف في بيروت . اشتغل من اول نشأته بطلب العلوم العربية والشرعية ، وصحب الاستاذ الامام ايام هجرته في بيروت وتلقى عنه ، فاستنار عقله ، واشرب حب الاصلاح في قلبه ، ولكنه كان يداري الجامدين ، ويخاف شر المستبدين ، فلماذا لم ينهض بالدعوة الى الاصلاح ، ولم يقوم بمظاهرة الظاهرين بها في زمن الاستبداد . على انه كان يدرس ويفيد الطلاب باعتداله ورويته ، وقد رغب الي منذ سنتين ان ارسل اليه ما طبع من (تفسير القرآن الحكيم) ليقرأه درسا في الجامع الكبير ، فلم ابادر في ارساله اليه ، فكنت في ذلك مخطئا ، وما كنت التمسه لنفسي من العذر في التأخير كان ضعيفا .

وكان الفقيه كريم الاخلاق ، حسن المعاشرة ، واسع الحلم ، شديد الاحتياط في أموره ، فوجود فقيه مثله في بيروت كان ضروريا ، اذ كان رحمه الله تعالى وسطا بين تشديد الجامدين ، وشذوذ المتساهلين المفرطين ، فهو من الافراد الذين لا تستغني أمتنا الاسلامية في قطر ولا مصر عن واحد أو آحاد منهم في هذا العصر - عصر التحول والاطلاق . وقد كان مسلمو بيروت مستفيدين من هذه المزية من مزايه وان لم يعرفها له الجمهور منهم .

وقد صار في العهد الاخير أمينا للفتوى في بيروت فكان خبر عون وظهير لفتيتها لهذا العهد صديقا الشيخ مصطفى نجا . وبسوءنا اننا لا نعرف من ترجمة هذا الصديق شيئا كثيرا نثبتته في ترجمته ، ليكون ذكرا باقيا له ، فنحن نعلم انه كان يفيد طلاب العلم والمستفتين بعلمه وعقله وأدبه . ولا ندري أكتب شيئا من الكتب والرسائل المفيدة ام لا . وقد خسرت بيروت بفقدته خسارة لا عوض لها الآن عنها ، لضعف الاشتغال بالعلوم الدينية فيها . وهو قد دخل في العقد السادس من عشرات سني عمره ، وكان جيد الصحة فعرض له المرض أياما معدودات انتهت باجله ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة

٣ - الشيخ محيي الدين الخياط

ولد بمدينة صيدا في رجب سنة ١٢٩٢ فكانت وفاته في أواخر السنة القمرية لثممة للاربعين : وراينا في بعض جرائد بيروت التي أبنته ان والده من السلالة العلوية ، وانه لرغبته عن التفاخر بالانساب لم يكن يعرف عنه كلمة تدل على ذلك ، وان أمه ألبانية الاصل ، وكانت كريمة الخلق ذكية الفؤاد ، فهي التي تولت تربيته

وعنيت بتعليمه . وقد تعلم التعليم الابتدائي في مدرسة لجمعية المقاصد الخيرية في بيروت ، وتلقى بعض علوم الأدب والدين عن الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي والشيخ يوسف الاسير البيروتي اللذين انتهت اليهما رئاسة العلوم العربية والشرعية في بيروت . ثم كان جل تحصيله بجده واجتهاده في المطالعة والمراجعة والتعليم ، وعني بالكتابة المصرية ونظم الشعر فكان في الرعيل الأول من فرسانهما في وطنه . وعلم في بعض المدارس ، وحرر في عدة جرائد ، وألف عدة كتب قرظها المنار في ازمته نشرها ، حتى صار اشهر شبان النهضة الاسلامية في بيروت

لقيته في بيروت قبل هجرتي الى مصر ، فاذا هو شاب يتدفق غيرة على الامة وشعورا بسوء حالها ، وشدة حاجتها الى الاصلاح ومجاعة الامم الحية . ولما أنشأت المنار جعلته وكيلا له في بيروت وما يتصل بها ، فقبل ذلك بالارتياح ، وكان مغتبطا بالمنار اشد اغتباطا ، على ما كان في ذلك من الخطر والتعرض لاذي الحكومة الحميدية . ولكنه عهد بعد ذلك بتوزيعه وجمع مال اشتراكه لصاحب له من ذوي المطامع الدنيئة وفاسدي الاخلاق ، ففشنا به - غير متعمد - عدة سنين ساعه الله وعفا عنه . كان التقيد صاحب همة عالية ، وحب للاستقلال الفكري والحرية ، وميل شديد للسياسة ، ولو أتيح له ان يعيش في بلاد حرة يعمل يستقل به لظهر من استعداده ما كان كامنا ، ولصار من اشهر كتاب العصر المصلحين . ولكنه كان ضعيف الثقة باستقلال نفسه في العمل ، فلم تجرباً على الهجرة ولا على النهوض بعمل مستقل غير مضمون الربح ، ولهذا باع قلمه لاصحاب الجرائد بالاجرة مراعيًا مشاربهم ومذاهب سياستهم فيها ، فكان لا يؤلف كتابا الا بعد ان يتعاقد مع رجل يطبعه على نفقته ، ويكون ملكا لطابعه من دونه ، وكان الباعث له على ذلك الحاجة الى المال ، وحب التعجل بربح قطعي بلا نفقة ولا انتظار ، وكان من لوازم هذه الطريقة من الكسب بالقلم اختيار ما يروج عند الطابعين وسرعة التأليف ، فالوقوف به عند حد . في استطاعة المؤلف ما هو أعلى منه . ولولاها لم يحصر جل ما كتبه في كتب التعليم الابتدائي ، فانه لم يؤلف الا كتب دروس التاريخ الاسلامي والعربية والفقه والمطالعة للمدارس الابتدائية . وعنى على ديواني ابي تمام وابن المعتز تفسيراً لغريهما سلك فيه مسلك الاختصار المخل ، واوقعه الاستعجال في كثير من الغلط ، على أنه كان من أحرص كتاب العصر على ضبط اللغة وصحة العبارة ، والثقة مما يضبطه بدقة المراجعة . فكان يضاهي الشيخ ابراهيم اليازجي في هذا . وكان يعرف اللغة التركية ، وترجم عنها قصة (الوطن) لنا مق كمال بك الشهير . وكان يرجى من خدمته للغة العربية ما هو اعظم من ذلك ، ولكن كان من سوء حظ الامة العربية ان فقدته عند ما بلغ اشدده واستوى ، وقوي في اتقان خدمة الامل والرجاء . عرضت له جمى وهو في عنفوان

قوة ، ققضت في اسبوع واحد على حياته ، فحسرت بفقده الامة العربية قلما سيالا ، وزهدنا جوالا ، وهمة لا تعرف ملالا ولا كلالا .

٤ - الشيخ محمد جمال الدين القاسمي

هو علامة الشام ، ونادرة الايام ، والمجدد لعلوم الاسلام ، حيي السنة بالعمل والتعليم ، والتهديب والتأليف ، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف ، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن ، الفقيه الاصولي ، المفسر المحدث ، الاديب المتفنن ، التقي الابواب ، الحليم الاواه ، العفيف النزيه ، صاحب التصانيف الممتعة ، والاجاث المفضلة ، صديقنا الصفي ، وخلنا الوفي ، واخونا الروحي ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، واحسن عزاءنا عنه .

نشأ الفقيد في بيت من بيوت العلم والدين في دمشق الشام ، ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين والف . وتلقى مبادئ العلوم العربية والشرعية عن والده الشيخ سميد بن الشيخ قاسم الملقب بالخالق . والقاسمي نسبة الى الشيخ قاسم هذا . ووالدته علوية يتصل نسبها بنسب الشيخ ابراهيم الدسوقي الشهير . وقد عني الفقيد في آخر عمره بأبواب هذا النسب ، وكتب له شجرة ، وجاء مصر في العام الماضي لشؤون تتعلق بذلك . فسررنا بلقائه ، وجددنا ما لا تخلقه الايام من عهود إخائه . وكتبنا له كما أحب كلمات على نسبه . وقد صار بعض تلاميذه واصحابه يطلقون عليه لقب « السيد » بعد تحرير هذا النسب ، بناء على القول بعموم شرف الاسباط . ولكن العرف الذي عليه أكثر المسلمين على خلاف هذا القول . والكثيرون من أهل سورية يطلقون لقب « السيد » على من ليس له لقب علمي ولا رسمي ، ولعل ذلك من نزغات الامويين ، في هضم حقوق العلويين . والشيخ غني عن هذا اللقب ، الذي لا يفهم المراد منه أحد .

وقد تلقى العلوم المتداولة في الشام عن الشيخ بكري المطار اشهر علمائها وفقهاء الشافعية فيها ، وكان يحضر مجالس الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق البيطار مجدد مذهب السلف في الشام ، وقد استفاد من علمه وعقيدته الاثرية وهديه واخلاقه المرضية ، ما لم يستفده من غيره . وصحب الاستاذ المعن المتفنن الشيخ طاهراً الجزائري ، فاستفاد من محبته علما بحال العصر ، ومعرفة بنوادر الكتب وغرائب المسائل ، وصحب العالم المستقل الشيخ سليم البخاري ، وأترابا من خيرة شبان العصر المدنيين كرفيق بك العظم ومحمد افندي كرد علي وغيرها وجماعتهم . فكان لصحبة هؤلاء الشيوخ والشبان ، وهم خير من انبتت الشام في هذا الزمان ، تأثير عظيم في حياته العلمية ، من حيث فتمتحت لاستعداده الفطري ، واستقلاله الوحي ، ابواب البحث والتحقيق ،

وعدم الوقوف عند المسلمات من التقاليد ، ونبهته الى حاجة الامة الى الاصلاح المدني كحاجتها الى الاصلاح الديني . وجاء مصر مع الاستاذ البيطار ، على عهد الاستاذ الامام ، فاعتبطا بلقائهما واعتبط بلقائهما ، وصارت المكاتبة بمذلك متصلة بينه وبينهما وإنما كان جمال الدين ذلك الرجل بجوهر نفسه ، وقوة استعدادة ، وكَم من طالب علم سمع مثل ما سمع ، ولقي من الشيوخ والشبان مثل من لقي ، فأنكر كل ما خالف - وعلى كل من خالف - ما عرف وأُف . ولم يهده ذلك الى طلب علم جديد ، ولا الى مراجعة النظر واستشارة الدليل . فالحق ان الافراد الذين امتازوا في هذا العصر من أمتنا بالعلم الصحيح والتصدي للاصلاح ، انما امتازوا اولا بقوة الاستعداد ، والميل الفطري الى الاستقلال ، ثم سلوك النظر والاستدلال ، فمن كان هكذا فعه لقاء اهل الاختصاص ، والاطلاع على احسن الكتب والاسفار ، فيكون في ذلك كالنحلة في الروض ، تجني من ناضر الازهار ويانع الثمار اطيب ما فيها .

رغبت بعض المدرسين ، في قراءة كتاب احياء علوم الدين ، فقلب اوراقه كلها او بعضها ، فلم يقع اختياره على شيء يقرأه منها ، الا بعض حكايات الصالحين ، وبعض الآثار في فضائل الاعمال . فهو لم يستفد من علم الغزالي مسألة ما ، ولم يعقل من خصائص الكتاب شيئا . ذلك بان هم ذلك المدرس كان محصورا فيما رأى عليه أمثاله ، وهو انتقاء ما يرضي الناس ويلذ لهم ، ولا يذكرهم بشيء من جهلهم ، ولا يكشف لهم الستار عن شيء من عيوبهم ، ولا ينذرهم سوء : اقبة افراطهم وتفریطهم . نعم ان كل فرد من أولئك الافراد القلائل الذين نعدم في هذا العصر من المصلحين - وصديقنا المترجم منهم - لم يكن امتيازهم الا بصفاء جوهرهم وقوة استعدادهم الفطري للاستقلال والكمال . مع التوفيق للطلب والاشتغال ، واتفاق لقاء بعض أصحاب المزاي من الرجال ، ذلك بانه ليس في أمتنا مربون ، ولا معلمون مصلحون ، لا في البيوت ولا في المدارس ، ولو وجد فينا كثير من القادرين على التربية الصحيحة والتعليم الاستقلالي ، لوجد في كل بلد - لافي كل قطر فقط - كثير من أمثال القاسمي .

ظهر الشيخ جمال الدين في الشام على حين فترة من العلماء ، فقد كانت من ادرك من كبار شيوخها آخر الذين عنوا بدراسة الكتب الممهودة التي يطلق على مدارسها لقب (علماء) على ان العلم الصحيح - وهو العلم الاستقلالي المبني على الدليل - كان قد حُجِر عليه وحُكِمَ بنحره من عدة قرون ، فلم يكن أحد يشم ريحه ولا يشم وميضه الا قليلا ، وصار الناس كالحفافيش لا يفتحون في هذا النور عينا ، ولا يحيلون في شعاعه فكرا . . . ظهر الفقيه وفي دمشق الشام أفراد ورثوا عن آباءهم واجدادهم عمام العلماء والقاهم والرواتب التي كانوا يأخذونها من اوقاف المسلمين

ولم يرثوا عنهم من العلم بتلك الكتب شيئاً ، فاتهم العلم ولم يفهم صرف الاوقات كلها في استنباط الحيل للتمتع بجاهه ومجده ، تبعاً للتمتع بالقابه وأزيائه ونقده ، فكان من اكبر الخطوب عليهم ان يروا في الشام عالماً يتصدى للتدريس والتصنيف ، وبين حاجة البلاد الى الاصلاح والتجديد . فاذا تصدى لذلك أحد يكيدون له المكائد ، وينصبون له الحبال ، ويغفونه الفتنة ، ويجعلونه في موقف الغلظة ، فيسعون به الى الحكم ، انصار كل متافق ، ويهيجون عليه العوام ، اتباع كل ناعق . فاذا يعمل العالم المصلح بينهم ؟

اذا كان عمل القاسمي الاصلاح وتجديد علوم الدين صغيراً في نفسه ، فهو كبير حدا في بلاده وبين قومه ، فا القول فيه اذا كان عمله كبيراً في الواقع ، وقد عظم المطلوب وقل المساعد ؟

كان رحمه الله تعالى يقرأ الدروس العربية والشرعية للطلبة وللعمامة ، ويخطب في المسجد خطبة الجمعة ، ويصنف الرسائل والأسفار الممتعة ، ويصحح ما يرى نشره ناذراً من كتب المتقدمين ، ويشرح المختصر ويختصر المطول منها ، ويسعى في طبعمها ونشرها ، ويث روح الاستقلال والاستدلال في ذلك كله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي احسن . وكما سعى فيه وكاد له أولئك المعمون الجامدون فأنجاه الله منهم ، وان اكبر الكبائر التي يتهمون بها كل من يدعو مثله الى العلم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، هي محاولة هدم الدين بفتح باب الاجتهاد والاستدلال ، وما يستلزمه ذلك بزعمهم من تحقير الأئمة ، ومن اتبعهم من علماء الأمة !! وقد اتهم مرة بذلك مع بعض اصدقائه وعقد لهم مجلس في المحكمة الشرعية وسأهم القاضي عن تلك التهمة ، واخذ الفقيه من دونهم الى دار الشرطة ، وحبس فيها بضع ساعات .

كان له رحمه الله تعالى دروع سابغات من اخلاقه وسيرته ، تقيه بغي أعداء العلم والاصلاح من حساده ، اذ كان نزه اللسان ، بعيداً عن المراء والجidal ، متجنباً للازراء بغيره ، والتعريض بغيره خصمه او مدح نفسه ، غير مزاحم لوارثي العمائم على الخطام ، ولا مسابق لهم الى ابواب الحكم ، - الى ما كان عليه من العبادة ، والعفة والاستقامة .

(للترجمة بقية)